الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر

تجليات المنفى في شعر الأمير عبد القادر

قصيدة الباذلون نفوسهم – أنموذجا –

من إعداد الطالبتين :

بدرة خيرة

هروال مختارية

تحت إشراف الأستاذ : أ. رضوان لحسن

أعضاء لجنة المناقشة :

الأستاذ :..... رئيسا

الأستاذ :.....مشرفا مقررا

الأستاذ : ..... مناقشا

السنة الجامعية: 2020/2019

شكر

الحمد لله رب العالمين الذي أعانني على إتمام هذه الدراسة، وإنجازها حتى أبصرت النور، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد:

يطيب للباحث في نهاية مطاف هذه المرحلة العلمية أن يتوجه بالشكر والتقدير والامتنان إلى من أفاضت عليه من وافر علمها، وسديد رأيها، وخبرتها إلى الأستاذ الفاضل الدكتور رضوان لحسن المحترم الذي كان خير منهل علم ومعرفة. له مني كل الأماني والدعاء الصادق بأن يمد الله في عمره .

كل الشكر والتقدير إلى السادة الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة التحكيم المحترمين على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، وعلى الجهد والوقت الثمين الذي بذلوه في تقييم وتصويب هذه الرسالة... لهم من كل الاحترام.

بن خيرة - هروال مختارية

الإهـــداء

الهي لا يطيب الليل الا بشكرك و لا يطيب النهار الا بطاعتك، و لا تطيب اللحظات الا بذكرك ،اما بعد:

أهدي هذا العمل الى:

_الى الذي وهبني كل ما يملك حتى احقق له اماله، الى من كان يدفعني قدما نحو الامام لنيل المبتغى، الى الانسان الذي امتلك الانسانية بكل قوة،الى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام،الى من علمني العطاء دون انتظار،الى من احمل اسمه بكل افتخار،ارجوا من الله ان يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار والدي العزيز.

_الى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء و الحنان،الى التي صبرت على كل شيء،الى التي رعتني و كانت سندي في الشدائد،الى بسمة الحياة و سر الوجود،الى من كان دعائها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي أمي الحبيبة.

الى من حبهم يجري في عروقي، الى من بهم أكبر و عليهم اعتمد،الى من عرفت معهم معنى الحياة أخواتي

الى القلوب الطاهرة و النفوس العفيفة الى الإخوة التي لم تلدهم أمي: صديقاتي ورفقاء دربي

الى كل من يؤمن بان بذور نجاح التغيير هي في ذواتنا و في انفسنا قبل ان تكون في اشياء اخرى....

الى كل هؤلاء اهدي هذا العمل المتواضع

بيرة خيرة - هروال مختارية

المقدمة العامة

المقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنّ لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله أمّا بعد:

يعد موضوع الغربة والاغتراب من المواضيع الهامة التي نالت حياز في الدراسات الأدبية الغربية والعربية على حد سواء، فظاهرة الغربة والاغتراب لصيقة بالوجود الإنساني وملازمة له، ولذلك نلحظ انعكاساتها في الأعمال الأدبية بصفة عامة، ويمثلان حالة من التحول النفسي بدءاً، تؤثر في الشاعر أو الإنسان عموماً، فتجعله يتخذ موقفاً مغايراً لما يجب أن يتخذه تجاه المجتمع من حوله، أو تجاه الوجود، أو تجاه المكان والزمان، فهذه الحالة النفسية التي تطرأ على الشاعر تنتج عن مجموعة من البواعث الشخصية والعامة التي من شأنها أن تشكل شخصيته الشعرية وتصقلها ضمن تجربته الإنسانية. وبذلك فالاغتراب ظاهرة إنسانية لاقت اهتماماً كبيرا من علماء النفس والتربية والاجتماع وهو ظاهرة متعددة الأبعاد وخبرة يعيشها الفرد ويضرب بجذورها في الوجود الإنساني ومع التقدم الحضاري يزداد عدد البشر الذين يشعرون في كل المجتمعات بالاغتراب بشتى صوره، وهو واحد من أضخم المشكلات التي نواجهها حيث أنها متمثلة في الهوة بين الأجيال وبين الأشخاص بل وفي ذات الفرد وإن هذه المشكلة تولد عند الفرد شعورا بالعجز و اليأس واللامبالاة مما يؤدي إلى سوء التوافق الفردي و الاجتماعي. أمّا شعر المنفى نمط من أنماط الشعر العربي قديما وحديثا، وهو ينبع من معاناة النفس البشرية التي تقتلها آلام الفراق للأهل

والأحبة والوطن والأم، وكذلك هو شعر يترجم الإحساس بالكلمات الصادقة تنبض شوقا وأسى وحزنا.

وانطلاقاً من هذا كله فإنّ هذه الدراسة ترتكز في حديثها الأساسي على تناول موضوع الاغتراب عند الشعراء المخضرمين بين الجاهلية والإسلام، من جوانبه النفسية والاجتماعية، والوجودية، وبيان أهم الأسباب الدافعة له، وإظهار موقف هؤلاء الشعراء من هذه الحالة، وكيفية تعاملهم معها.

وتكمن أهمية هذه الدراسة من أهمية هذا الموضوع عموماً في الدرس الإنساني؛ إذ تناول الفلاسفة فكرة الاغتراب، كما تناولها التربويون، علاوة على ما تحدث به علماء النفس، فهذا الموضوع موضوع مشتبك بين هذه العلوم جميعاً، ولكل فن طرف يأخذ به أصحابه، وتحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على هذه الفكرة الإنسانية من منظور أدبي فّني بحت، وبيان رؤية الشاعر تجاه معطيات الحياة المختلفة، فالاغتراب عن النفس هو افتقاد المغزى الذاتي والجوهري للعمل الذي يؤديه الإنسان وما يصاحبه من شعور بالفخر والرضا، اغتراب الإنسان هو اغتراب تاريخي مرتبط بعلاقته بالوجود مرت بمراحل صراع مختلفة أراد الإنسان فيها انتزاع حريته، لذا فإنّ تاريخ اغتراب الإنسانية هو تاريخ بحثها عن الحرية، ولكي لا يشعر الإنسان بالاغتراب تجاه تاريخه فإنّه مل زم بتحرير التاريخ من الاغتراب، بمعنى إحداث تغيير في مجرى التاريخ، وهذا يتم بأن يدخل الإنسان في تحديد مسار التاريخ ويتحرك به ومعه.

وبالتالي فالاغتراب عملية جدلية ممتلئة زخما خصبا في كونه المجال الذي يتم عبره اختصار واقع ما واستعادة الماضي والرجوع إلى الذكريات، وتدفق الأحداث العابرة في الذاكرة.

وبهذا تطرقنا إلى اختيار الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري الذي عرف بأنّه رجل البطولة، نظرا لتحمل أعباء الدولة والجهاد في سن مبكرة، وتمكن في فترة وجيزة من تأسيس دولة لها نظامها العسكري والإداري، وهو واحد من الشعراء الذي تطرق في قصائده إلى فكرة المنى والاغتراب، وهذا ما جعلنا نلتفت فيه في هذه الدراسة، ومن هنا اخترنا قصيدة من قصائده " الباذلون نفوسهم " التي تعبر عن مدى حنين الأمير وشوقه للخليفة ، ومن هنا نطرح الإشكال:

من هو الأمير عبد القادر؟ وما هو الاغتراب؟ وكيف تجلت كرة المنفى والاغتراب في قصيدته "الباذلون نفوسهم" وكيف أثر ذلك في نفسية القارئ؟

هذا ما حاولنا الإجابة عنه في الدراسة، حيث اتبعنا المنهج التحليلي الوصفي في التطبيق.

وبهذا تطرقنا إلى خطة البحث التالية:

المقدمة: التي هي عبارة عن مفاهيم دقيقة عن كلا من المنفى والاغتراب والأمير عبد القادر.

أمّا في الفصل الأول:

المقدمة:

تطرقنا إلى مبحث واحد وفيه عدة عناوين وهو عن سيرة الأمير عبد القادر ومبايعته، وصفاته. وفي آخر الفصل وضعنا خلاصة صغير له.

أمّا الفصل الثاني: عنوانه المنفى والاغتراب

تطرقنا إلى مبحثين هما:

المبحث الأول: تعريف المنفى وأنواعه، الذي تناولنا فيها مفهوم المنفى، أنواعه، ظهور شعر المنفى، وكذلك الظاهر الفنية لهذا الشعر، والمنفى في الشعر العربي القديم.

المبحث الثاني: الاغتراب وأنواعه، الذي تناولنا فيه مفهوم الاغتراب، أنواعه، الاغتراب والغربة، ومع أخر الفصل استهلنا بخلاصة صغيرة عن الفرق بين المنفى والاغتراب.

أمّا الفصل الثالث: تطرقنا إلى نموذج تطبيقي قصيدة " الباذلون نفوسهم" ومع التحليل.

كما اعتمدنا على مراجع عديدة مثل محمد الشحات، سرديات المنفى، وناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، وكذلك ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري.

كما واجهتنا مجموعة من الصعوبات التي ذللت بالبحث والمساعدات من طرف الزملاء والأساتذة.

وفي الأخير نرجو أن تكون هذه الدراسة حلقة من حلقات البحث في أدبنا العربي، فإن أصبت فمن الله وإن أخطئت فمن نفسي.

الفصل الأول

الفصل الأول: سيرة الأمير عبد القادر

المبحث الأول: مولد الأمير ونشأته

1- مولده

2- نشأته

3- بيئته وأسرته

4- مشارب دراسته

5- مؤلفاته

6- أسلوب الأمير في كتابة مؤلفاته

7- وصف ملامحه

8- مصادر تعلمه الدّيني

9- قراءاته وأثرها في فكره

10- خصاله

11- مبايعته

12- مرضه ووفاته

المبحث الأول: مولد الأمير ونشأته

1- مولده:

اتفق المؤرخون على اعتبار سنة 1807 تاريخ مولد الأمير[1]، بينما البعض منهم يرى أنه ولد في 1808م[2]، في 15 رجب لسنة 1222، وكان رابع إخوته، بمقر أسرته بالقيطنة الواقعة على سفح جبل إستانبول على الجانب الأيسر لوادي الحمام وعلى بعد حوالي 20 كلم عن مدينة معسكر[3].

ويذكر هنري تشرشل أن عبد القادر ولد في شهر ماي من نفس السنة التي ذكرها في كتابه (1807م) في القيطنة في منطقة غريس التي تقع إقليم وهران وكان له موضعا خاصا لحب والده له وحتى عندماً كان في الرضاعة فإن الوالد كان يصر دائما على أخذ الطفل إلى حضنه[4].

وهو عبد القادر بن محي الدين الحسين، مجاهد وفقيه وشاعر وأديب ورجل دولة جزائري، حفظ كتاب الله تعالى ولم يتجاوز الثانية عشر من عمره وتلقى مبادئ العلوم الإسلامية واللغوية على يد والده الشيخ محي الدين، كما تدرب على الفروسية واستعمال السلاح[5].

2- نسبه:

يعود نسب الأمير عبد القادر إلى الأدارسة[6] ولذلك فغالبا ما يشار إلى نسبه الشريف غير أنّه كان لا يعير ذلك اهتماما لأنّ اكتساب الاحترام و التقديس نابع من السلوك لا من النسب، وفي هذا الصّدد يقول عبد القادر: «لا تسألوا أبدا ما هو أصل الإنسان وفصلهنّ بل اسألوا عن حياته وأعماله وشجاعته ومزاياه وعندئذ تدركون من يكون»[7]، وكان يستوحي ذلك من روح الإسلام الذي سوّى بين البشر مهما كان أصلهم و إنّ الرسول صلى اللّه عليه ومن المؤرخين من أرجع نسبه إلى "الإمام الحسين بن علي بن أبي

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مكتبة إسكندرية، مصر 2000، ص 155.

[2] Boualem Bessail, l'Emir Abdel Kader à l'imam chamyl. Alger, 2008, p 06.

[3] ناصر سعيدوني، المرجع نفسه، ص 155.

[4] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد اللّه، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 39.

[5] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصرة " 1830-1989 "، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص71.

[66] **الأدارسة:** تأسست دولتهم في" 172- 788م "على يد إدريس بن عبد اللّه الكامل بن الحسين المثمن بلغ نفوذ الأدارسة في إدريس الثاني إلى جهات نهر الشلف ولها إمارات عدة كإمارة تلمسان إمارة متيجة، إمارة هاز، سقطت في عهد الحسن بن كنون "311هـ- 923م"، أنظر: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ط1، دار الطليعة، الجزائر، 1965، ص93، ص95.

[7] رابح لونيسي وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص134.

طالب"[1]، وكان الأمير عبد القادر بعد سنوات من كمال حيويته ورجولته، أظهر شجاعة فاقت كل شجاعة، كان دائما أول من يقود إطلاق النار أو يغطي الانسحاب، كما أجاد القراءة والكتابة وهو في سن الخامسة من عمره، وتمكن من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهو في سن الثانية عشر[2]، متمكنا من قواعد اللغة وفقهها وهو الرجل المجاهد العالم الشاعر الفقيه[3]. وسلم يقول:«كلكم من آدم وآدم من تراب، لا فرق بين عربي وعجمي إلاّ بالتقوى»[4].

انتسب عبد القادر إلى قبيلة هاشم العربية الأصيلة، ومكانة أسرته الشريفة في منطقة غريس، حيث كان جده "سيدي مصطفى بن محمد" المعروف بسيدي قادة موضع كبار وأجلاء من رجال قبيلة هاشم، كما كان أبوه الشيخ محي الدين رجل دين ينتسب إلى الطريقة القادرية[5]، يتبرك به سكان تلك الناحية ويرجعون إليه في أمورهم، وحتى عند احتجازه بوهران من طرف الباي حسان ظل الناس يتوافدون عليه ويعرضون عليه خدماتهم ويلتمسون منه الدعوات الصالحة، ونفس المكانة حظي بها ابنه عبد القادر عندما أصبح شابا" واكتسب ثقافة دينية واتصف بالورع والتقوى، وقد تداولت بعض الأقاويل بين عامته بمنطقة سهل غريس عن مدى تعلق الناس بعبد القادر واعتقادهم في قدرته على إصلاح أمورهم ومفاد هذه التنبؤات أن حكم البايلك سيزول[6].

وقدُ ذكر أنّ الأمير عبد القادر قال لتلميذه العايش: «أنا عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القاضي بن أحمد بن محمد بن عبد القوى بن علي بن أحمد بن عبد القوى بن خالد بن يوسف بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاوس بن يعقوب بن عبد القوى بن أحمد بن محمد بن إدريس أحد أبناء عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن حفيد النبي صلى الله عليه وسلم وابن علي وفاطمة وحفيد أبي طالب بن هاشم، أنا عبد القادر بن محمد الدين وسليل النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر "المجاهد الصوفي"، الجزائر، ص08.

[2] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، ص39، ص40.

[33] خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، ج 3 ، ط 2 ، ص170 .

[4] المرجع نفسه، ص134.

[5] **الطريقة القادرية:** ظهرت هذه الطريقة في الجزائر قبل العثمانيين، وانتشرت قبل ق 19 م، ويعود الفضل في تأسيس أول زاوية لهذه الطريقة في الجزائر للشيخ مصطفى الغريسي والد محي الدين، كانت مدرسة لتعليم القرآن والسنة ومبادئ الشريعة، فكانت مكان اجتماع لجميع الطلاب وملجأ المستضعفين وتحل مشاكل الناس، كانت هذه الطريقة تحتل في الحجاز مكانة مرموقة بين الطرق الصوفية التي كانت تعمل هناك لا من حيث عدد أتباعها فحسب ولكن أيضا من حيث مكانة وقيمة صاحبها الأدبية والثقافية .**أنظر:** عمار هلال، الموسوعة الثقافية للشباب، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 1998 ، ص108، ص110.

[6] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج2 ، المرجع السابق، ص232 .

المرسل والمبعوث من الله وهو نفسه بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، إن أسلافي من الجانبين من الأشراف ساكني المدينة تفضيلا، فأسلافي في الأمجاد كانوا مباشرين للنبي صلى الله عليه وسلم»[1].

3- بيئتـــــه و أسرته:

تقطن أسرة محي الدين في قرية[2] على الضفة اليسرى لوادي الحمام على مسافة حوالي 20 كلم غربي مدينة معسكر، كانت الأسرة (انظر الملحق رقم2 .ص26).تعيش مما تدره من الأراضي الزراعية التي تملكها بسهل غريس[3] ومن العوائد التي يقدمها الأتباع والأنصار والتي تتكون من نقود ومواد أولية مثل: الصوف والقمح[4].

وهي من سلالة الحسني القرشي سليل قبيلة لها سلطة روحية تتمتع بنفوذ واسع وقد جرت الأسرة على تقديم الضيافة لعابري السبيل والمساعدة للمعوزين، فاشتهرت بالكرم إلى جانب شهرتها بالعلم والتقوى في قبيلة بني هاشم وخارج حدود هذه القرية وكذلك كان سكان المنطقة يقصدون كبار الأسرة لفض نزاعاتهم وللتحكيم في خصوصياتهم، وقد كان محي الدين رئيس الأسرة متزوجا بأربع نساء وهن وريدة ولدت له " محمد السعيد ومصطفى " والزهراء التي أنجبت له " عبد القادر وخديجة " وفاطمة ولدت له " حسين " وخيرة أنجبت " المرتضى "[5].

كانت عائلة الأمير عبد القادر تعرف بالجزائر بعائلة الحسين وكان، بوقع عبد القادر بن محي الدين الحسني ثم تطور إلى الأمير عبد القادر الجزائري خاصة في المشرق العربي وصارت عائلته تعرف بالجزائري وشاركتها في هذا اللقب عدة عائلات جزائرية أخرى ، أطلقه عليها المشارقة وبرزت من عائلة الأمير عدة شخصيات ملأت الساحة والمشاهد الثقافية والسياسية والعسكرية أمثال ابنه علي بن عبد القادر وغيره من الأبناء[6].

---

[1] برونو إيتيين، عبد القادر الجزائري، تر: مشيل خوري، ط1 ، دار عطية، لبنان،1997، ص27.

[2] **قرية أسرته:** قيطنة وادي الحمام عبارة عن عدد صغير من المنازل وتستهل على زاوية كانت مقصدًا للعلماء والمرابطين والشخصيات المعروفة في المنطقة .**أنظر** :إسماعيل العربي، المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2 ، الجزائر، ص37.

[3] **سهل غريس** :يمتد على مجموعة من التموجات الخفيفة، تخترقها بعض مجاري السيول التي تنتشر على جانبيها جنينات الدفلى .**أنظر** برونو إيتيين، المصدر السابق، ص53 .

[4] محمد خير الدين، مذكرات الشيخ خير الدين محمد، ج 1 ، الجزائر، ص. 54 .

[5] إسماعيل العربي، المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، الجزائر، ص 37.

[6] نادية طرشون، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2007، ص . 309

كان جد الأمير مصطفى بن المختار قد أخذ القادرية على عبد القادر المشرقي حين ا زر بغداد في طريقه للحج ، تبرع بماله الخاص لتوسيع" ضريح عبد القادر الجيلالي "، أصبح يعرف بزيادة الشيخ مصطفى بن المختار، كما أسس زاوية بوادي الحمام في "1791م" وتوفي هذا الرجل الجليل في "1212هـ-1798م"[1].

أمّا بالنسبة لوالده محي الدين الذي ولد في "1190هـ- 1777م بوادي الحمام قد درس على أبيه وورث عنه مشيخة الزاوية فكثر عليه طلاب العلم ، اشتهر بسداد الرأي وغزارة العلم، قاوم الظلم في عهد الباي حسن بن موسى، توفي والد الأمير في "1249هـ- 1833م"، فكلف ابنه عبد القادر في رئاسة الزاوية[2].

ومن أبرز أبناء عبد القادر هو علي وهو الابن السادس، كان عمره في عام وفاة والده 1883 ستة وعشرون عامًا. عرف بنشاطه السياسي والدبلوماسي والعسكري في البلاد العثمانية وخصوصا بلاد الشام باعتباره مبعوثا رسميا من طرف الدولة العثمانية إلى ليبيا لتنظيم المقاومة فيها ضد الغزاة الإيطاليين[3].

أمّا زوجته فكانت امرأة وديعة لطيفة جميلة مكتئبة تعيش في عزلة ولا تهتم بغير أطفالها، وزوجها يحترمها.

ووالدته الزهرة هي امرأة مسلمة، كان سيدي محي الدين يفضلها على غيرها من نسائه لهدوئها ورزانتها، كثيرا ما تحدث عنها من رآها من الأوربيين بإعجاب كبير، وكانت تعرف أوضاع البلاد وظروف[4] ابنها عبد القادر مع الكفار معرفة جيدة، دون أن تخفي كرهها الشديد لهم، وقد أكسبها عطفها على المرضى والفقراء حب جميع التعساء والأشقياء.

وللأمير عائلة تتكون بالإضافة إلى زوجته من بنتين إحداهما تقرب من سن البلوغ، والأخرى في الثالثة من عمرها، أما ابنه فقد توفي وهو في الرابعة من عمره وذلك في شهر أكتوبر سنة 1837 م، وكانت الأسرة الخاصة مكونة من زوجة وبنتين وابن قبل سنة 1837 م[5].

---

[1] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي للنشر، لبنان، 1995، ص244، ص245.

[2] المرجع السابق، ص245.

[3] نادية طرشون، المرجع السابق، ص310 .

[4] عمار هلال ، المرجع السابق، ص103، ص104.

[5] المرجع نفسه، ص103، ص104.

أمّا كنيته قد كان الأمير يكن بعدة ألقاب متعددة قد أطلقت عليه في مناسبات شتى بعضها لأزمنة طيلة حياتهم وبعضها الآخر انتهى بانتهاء الفترة الزمنية التي يرمز إليها وذلك اللقب أو ذاك، فمن ألقابه: " أمير المؤمنين، ناصر الدين، الأمير[1]، الجزائري[2]، ابن رشد، ابن خلاد[3]".

4- مشارب دراسته:

ابنه محمد باشا عن العلوم التي درسها: «كان قد تلقى تعليما عربيا دينيا أصيلا، أخذ الفقه عن والده وغيره من العلماء ورحل إلى وهران وأخذ من علمائها وكان حافظا للكثير من العربية والقدر الوافر من صحيح البخاري عن ظهر قلب مجازا فيه عن والده وسمعه من الشيخ الإمام المحدث أبي أحمد عبد الرحمان الكزبري بدمشق الشام أيام إقامته فيها صحبة والده وأخذ أيضا عن الإمام ضياء الدين موالنا الشيخ النقشبندي السهروردي، و كان كثير التردد إليه وبرع في علوم الشريعة والحقيقة»[4].

من خلال التعرض للملامح العامة لنشأة الأمير عبد القادر نجد أن:

- ✓ والدة الأمير في سنة 1808م بالقيطنة في منطقة غريس الواقعة في إقليم وهران.
- ✓ يعود نسب عبد القادر إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب وهو نسب شريف يعود للنبي صلى الله عليه وسلم من قبيلة هاشم العربية الأصيلة.
- ✓ كان لأسرته دورا فعالا في تكوين شخصيته حيث اشتهرت بالعلم والتقوى إلى جانب الكرم والعطاء وكان جده صاحب أول زاوية قادرية في الجزائر.
- ✓ أخذ الأمير عن والده مختلف العلوم الدينية من فقه وتشريع إضافة للأخلاق الحسنة المرموقة.
- ✓ لقب عبد القادر بعدة ألقاب وكانت كنيته الجزائري نسبة لوطنه الأم أحب الألقاب إليه خاصة في فترة المنفى.
- ✓ تلقى الأمير عبد القادر تعليما عربيا أصيلا دينيا و انتهل من العلوم المختلفة القدر الوافر خاصة لما كان في المشرق العربي صحبة والده محي الدين.

5- مؤلفاتـــــــه:

---

[1] **لقب الأمير** : هو الأكثر شهرة، عرف به وبقي يلازمه طيلة حياته .أنظر: محمد بركات مراد، المرجع السابق، ص08.

[2] **كنية الجزائري:** نسبة إلى وطنه الجزائر، وكان الأمير يحب هذا اللقب خصوصًا بعد نفيه عن بلاده .**أنظر** :بركات محمد مراد، المرجع نفسه، ص08 .

[3] المرجع نفسه، ص08 .

[4] محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، تعليق، ممدوح حقي، ج2 ، ط 2، دار اليقظة العربية، 1964 ، ص932 .

أول كتاب ألفه الأمير كان في سجنه بأمبواز، الذي قضى فيه ثلاث سنوات ونيف، وذلك ردا على الانتقادات الموجهة للإسلام من بعض الكتاب الفرنسيين وكان بعنوان المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد، (طبع في بيروت، دار الحياة، بدون تاريخ، تحرير محمد بن عبد الله الخالدي المغربي) و يتألف الكتاب من مقدمة(من ص9، 40) فيها تعريف للعقل و مراتب النظر يتبعه فصل في شرف النظر العقلي و آخر في تفاوت الإدراك بين الناس و ثالث في نقد نظرية الفيض الفلسفية التي تقول بالعقول العشرة دون ذكر للفرابي أو ابن سينا الذي ابتكر هذه النظرية، وهو في ذلك يتبنى أراء ابن عربي الذي ينكر نظرية الفيض ويستبدلها بنظرية التجلي، يليها الباب الأول في إثبات الألوهية وبيان الطريق إلى معرفة الله تعالى، وهو يستشهد في هذا الباب بأقوال كبار المتكلمين مثل "الغزالي وفخر الدين الرازي وإمام الحرمين الجويني وسعد الدين التفتازاني والفيلسوف صدر الدين الشيرازي" وفيه يتبنى أراء المفكرين المسلمين في الكون والطبيعة، وفي الباب الثاني يعالج الأمير قضية النبوة والرسالة والرجوع إلى التراث الإسلامي الذي يتحدث عن النبوة لدى المسلمين واليهود والنصارى.

وفي الباب الثالث يتابع الأمير الحديث عن الأخلاق لدى المسلمين بما فيها الوفاء للعهود وصدق الوعد والعدل واحترام إنسانية ويستفيض في ذكر سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي.

وألّف في منفاه في مدينة بورصة التركية كتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، منتصف رمضان1271هـ/ حيزران1855 (نشر في دمشق، دار اليقضة بتحليل المحامي ممدوح حقي) يعرض فيه معارفه التراثية: يبدأ فيه بالمقدمة يحث فيها على النظر وذم التقليد. ويعالج في الباب الأول فضل العلم والعلماء، وفي الباب الثاني في العلم الشرعي، وأمّا الباب الثالث ففي فضل الكتابة والتأليف. وهو عبارة عن رسالة موجهة إلى أعضاء "الجمعية الآسيوية" للمستشرقين الذين "كتبوا اسمه في دفتر العلماء" بحسب قوله. وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية ونشر في بيروت عام 1855، ثم أعيد نشره في باريس عام 1858م بعنوان "**رسالة إلى الفرنسيين**". وله ديوان شعر طبع عدة مرات، أغلب أشعاره في الحماسة والإخوانيات والغزل. نشره لأول مرة ابنه الأمير محمد، وأحال إلى **كتاب المواقف** للإطلاع على شعره الصوفي.

6- أسلوب الأمير في كتابة مؤلفاته:

يبدوا أنّ أسلوب عبد القادر أقرب ما يكون إلى التوسيع فهو يبدأ بأصل عام ثم يأخذ في التفريغ والتقسيم والبيان والمقابلة والاختيار، كما أنّ أسلوبه كان بلياقة اللّغة العربية لتتناول قضايا الفكر العويصة وواردراته الهائمة، وتناول أعصى ما في التراث وأنآه عن البيان والشرح والتجلية بلسان عربي مبين[1].

فالتزم عبد القادر الفصحى والصحة المقبولة فيما ينقله عن العامية، ولا يعني عجزه عن الإبداع فقد كان التفاته إليها أكثر ذيوعا وحضورا ممّا في كتب نظرائه حول نفس موضوعاته.

وبذلك فإن تأليف الأمير تدل على إطلاع واسع وتحصيل وافر وذاكرة قوية ، وقدرة على الاحتجاج ، وتدل أيضا على شخصية علمية أدبية بالغة.

7- وصف ملامحـــه:

فصل شارل هنري تشرشل في ذكر أوصاف الأمير حيث ذكر : « **إنّ ملامحه التي كانت من أصفى الطابع الكلاسيكي، كانت جذابة لوسامته المعبرة التي كدت تكون جمالا أنثويا، فأنفه يتوسط وجهه في حجم وسطي وفي شكل رائع، كان بين الأنف الإغريقي والروماني، وشفتاه المنحوتتان بدقة والمضغوطتان قليلا تنسبان بتحفظ مهيب وبوثوق في الهدف، بينما تتسع عيناه صافيتان في لون البندق تحت جبهة عريضة في بياض الرخام مع نعومة مكتومة وحزينة أو تتألقان بأشعة العبقرية والذكاء** »[2].

الأمير عبد القادر مربوع القامة معتدل الجسم أبيض اللون أسود الشعر، كثيف اللحية، أقنى الأنف، أشهل العينين، أضبط بحيث يستعمل يساره لأداء ما يمكن من عمله بيمينه متواضعا ومتئدا في مشيته[3].

وقد أعطاه "ليون روش"[4] الذي اقترب منه كثيرا هذه الأوصاف: « لونه الأبيض له نوع من الشحوب

---

[1] محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري "ثقافته وأثرها في أدبه"، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص247.

[2] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس ، ص40، ص41.

[3] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص108.

[4] ليون روش : ولد في مدينة غرونوبل (Grenoble) بفرنسا في 27 سبتمبر 1809م من أبوين فرنسيين ، غادر مدينة مرسيليا في منتصف 1832م إلى ميناء مدينة الجزائر، تم تعيينه برتبة ملازم في فرقة الفرسان الخيالة من قبل الدوق دي روفيجو، كما عين ترجمانا محلفا للجنة الإفريقية، كما أنه مارس الجوسسة قبل التحاقه بجيش الأمير عبد القادر ويقيم عنده، وتوفي في نفس المدينة في 26 جوان 1901 م ... للمزيد أنظر: يوسف مناصرية مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1847 - 1832 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص13، ص18.

الباهت وجبهته عريضة ومرتفعة، له حاجبان أسودان فوق عينين زرقاوين وأنفه رقيق ومنعقف برشاقة وشفتاه رقيقتان وغير مزمومتين ولحيته السوداء والحريرية تحيط بصفة خفيفة وجها بيضوي الشكل ومعبرا، هناك وشم صغير بين الحاجبين يبرز صفاء جبهته ويده النحيلة والصغيرة لها بياض متميز وتعبرها عروق زرقاء وأصابعه طويلة ورقيقة تنهيها أظافر وردية تم تقليمها بصفة جيدة »[1].

« كما أنّه رجل عادل يحترم تعاليم دينه وإنّ المسلمين يخضعون له بسبب إحترامه الشديد لتعاليم الإسلام وسيره على نهج الخلفاء الراشدين »[2].

ففي السابعة عشر اشتهر الشاب عبد القادر بين زملائه بقوته العجيبة ونشاطه الواضح، فهيئته المتكاملة المتناسقة كان طوله حوالي خمس 5 أقدام، وتركيب عظامه وصدره العريض الغائر كلّها قد شكلت إطارا جسمانيا لا يعرف الكلال وقادر على احتمال أشق الأتعاب[3].

وهو جهوري الصوت الطبع، قوي اللهجة، أجش النغم، وهو مع ذلك كان يتصف بالبشاشة والتأدب ولين الطبع، ويفضل الابتعاد عن مظاهر التكلف والفخامة والأبهة ويميل إلى حياة التقشف والبداوة وهذا ما جعله يفتخر بها في شعره[4]، وملابسه بسيطة كأي جزائري من حايك عادي إلى برنس أبيض، كانت بشرته بيضاء أكسبتها شمس المعارك اللون البرونزي، لحيته كثيفة سوداء وفي عينيه بريق الذكاء والقوة[5].

كما ذكر عبد الرحمان بن الجيلالي بأنّه: « كان معتدل القامة يميل إلى القصر ممتلئ الجسم أبيض البشرة بارز الجبهة واسع الفم أسود الشعر، كث اللحية ذا بحة في صوته عالي الهمة كريم النفس حازما حليما متحمسا في جميع مواقفه»[6].

أمّا توماس دوماتوار فإنّه يصف الأمير:« أنّه رجل متوسط القامة ولكن هيئته جيدة، لونه أبيض وجلده شاحب ولحيته السوداء كثة ولكنها قصيرة، أمّا جبهته فإنها عارية ومحدبة وعيناه خضروان وصافيتان جدا وأنفه المنعقف بكيفية جيدة وله فم جميل وبصفة عامة فإن وجهه بشوش وهو كله لصالح

---

[1] محفوظ قداش، جزائر الجزائريين "تاريخ الجزائر1830- 1954"، تر: محمد المعراجي، طبعة خاصة، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 2008 ، ص85.

[2] يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب "1632-1847 "، الم، ص26 .

[3] محمد خير الدين، مذكرات الشيخ خير الدين محمد، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 2008 ، ص34 .

[4] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص180، ص181.

[5] الأميرة بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره " فكرة الأمير عبد القادر الجزائري"، ج3 ، تر: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الوفي، الجزائر، 2002 ، ص54.

[6] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982، ص62، ص63.

صاحبه، وصحته التي يقال عنها إنها مضطربة تبدو في حالة جيدة ولا أجد له المظهر الصوفي الذي يوصف به»[1].

بالإضافة إلى كونه متصوفا في سلوكه الديني متصلبا في الحق محبا للعلم والعلماء فقد وصفه لنا المؤرخ الفرنسي أوغستان برنارد" **Augustin Bernard**": « أظهر الأمير رغم من أنه ابن الزوايا والطرق حنكة سياسية كبيرة وبارعة عسكرية وكان يتمتع بصفات تدل على أنه خلق ليحكم فكان بسيطا في لباسه متواضعا في معشره، أنيقا جميلا وفارسا شجاعا»[2].

صاحب تقوى وصبر ورجل علوم عسكرية وأدب وثقافة علاوة على أخلاقه وذكائه وعدله[3].

أمّا سي قدور بن رويلة[4] فقد أعطانا أحسن وصف معنوي للأمير مفاده: « الحاج عبد القادر لا يحب يحب الدنيا فهو يبتعد عنها بقدر ما يسمح له بذلك، إنّه يتغذى بقناعة ويلبس دائما أشياء بسيطة ويقوم الليل للدعاء لنفسه ولعباد الله القدير، لا يريد إلاّ الصلاة والصيام ليكفر عن ذنوبه، إنه يخشى الله وهو مؤدب على جميع المسلمين وهو لا يغادر مسجد إلا نادرا».

8- مصادر تعلمه الديني:

كان الأمير عبد القادر بن محي الدين من عائلة دينية تنتمي إلى الزاوية القادرية[5] وقد أبدى الأمير منذ نعومة أظافره نباهة ونجابة جعلت والده يفضله عن غيره من أبنائه[6].

حيث نشأ عبد القادر بين أحضان والديه وتربى بين عشيرته وقومه سالكا مسلك آبائه وأجداده في الأخذ بأسباب الثقافة الإسلامية والحضارة العربية جامعا بين آداب الدرس وآداب النفس والتفنن في أنواع الفتوة والفروسية[7].

---

[1] محفوظ قداش، المرجع السابق، ص85 .

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص63.

[3] رابح لونيسي، وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2010 ، ص127.

[4] **سي قدور بن رويلة:** هو ذلك الجندي الشاعر الذي جرح في مدينة الجزائر سنة 1830 والتحق بعبد القادر ليكون كاتبه الخاص .أنظر: محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، المرجع السابق، ص86.

[5] عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، الجزائر، 1965، ص179.

[6] **أبناء محي الدين:** كان محي الدين رئيس الأسرة متزوجا بأربع نساء هنّ: وريدة التي ولدت له ابنين محمد السعيد ومصطفى، والزهراء التي أنجبت له عبد القادر وبنتا اسمها خديجة... للمزيد أنظر: إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص . 37

[7] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص61.

كان يقرأ ويكتب وعندما كان في الخامسة من عمره وقد أصبح طالبا عندما كان في الثانية عشر[1].

في الثانية عشر من عمره أصبح طالبا وفي الأربعة عشر حافظا ثم أنهى دارسته بالحج إلى مكة المكرمة الذي لم يكن في تلك الحقبة تتميما لواجب ديني فقط بل أيضا وسيلة لإتمام التربية الفكرية في المشرق[2].

وفي سن مبكرة حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ العلوم اللغوية والدينية، كما تدرب على ركوب الخيل وكذلك تلقى الحساب والجغرافيا والتاريخ على يد " الشيخ أحمد بن طاهر"[3].

لمّا بلـغ الأمير الأربعة عشر مـن العمر أرسلـه والده إلى مدينة وهران لإتمام تعليمه في مدرسة تحت إشراف " الشيخ أحمد بن خوجة " وبعد سنة عاد إلى القيطنة ليواصل تعليمه هناك[4].

كان والده هو الذي تولى تنشأته بيده ثم سلمه إلى علماء غريس فأخذ عنهم واستصحبه والده إلى وهران حينما وضعته الحكومة التركية تحت الإقامة الجبرية هناك، فاغتنم عبد القادر فرصة وجوده بوهران وأخذ يدور على مجالس علمائها فيحضر دروسهم ويتلقى عنهم ما لم يكن له بعلم وهو آنذاك لا يزال غلاما مراهقا[5].

لاحظ الأمير عبد القادر أنّ التصرفات الجائرة للحكام الأتراك ورجال المخزن سواء بمعسكر أو وهران وقد عاين ذلك عن قرب عند إقامته بوهران أثناء تلقيه العلم بمدرسة "أحمد بن خوجة" مع بعض الأعيان وموظفي البايلك قبل أن يعود إلى مسقط رأسه في 1823م، وكذلك عند استقراره بدار التاجر المغربي بوهران مع أبيه[6]، وذلك يعني أنّه أصبح يستطيع ترتيل القرآن عن ظهر قلب وفي هذه المرحلة بدأ يعطي

---

[1] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص39 .

[2] عبد القادر جغلول، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر: سليم قسطون، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ص34.

[3] **أحمد بن طاهر**: قاضي أرزيو الذي اشتهر بغزارة العلم وسعة الاطلاع في ولاية وهران كلها. أنظر: عبد القادر جغلول، المرجع السابق ص38.

[4] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص38 .

[5] عبد الرحمان محمد بن الجيلالي، المرجع السابق، ج4، ص62 .

[6] ناصر الدين سعيدوني،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص233 .

دروسا في جامع الأسرة حيث كان يعقب ويفسر أصعب وأعمق الآيات والشواهد، لقد كان طموحه الأكبر في شبابه هو أن يصبح مرابطا مثل والده[1]. هذا ما جعله يفكر مليا في اتخاذ تدابير جدية للتعامل معهم.

9- قراءاته وأثرها في فكـره:

إلى جانب تكوينه الديني تأثر الأمير بفلسفة العصر الكلاسيكي الذهبي للفكر الإغريقي، وما يثبت ذلك أنّه درس الفلسفة اليونانية، فلاسفة ما قبل سقراط ثم أفلاطون ولاسيما أرسطو، والتاريخ والجغرافيا والطب[2].

تكوّن عبد القادر تكوينا ثقافيا متشبعا بروح الدين الحقيقي الذي لا يفهمه على أنّه صلاة وعبادة وكفى بل معركة وجهاد ومثل وأخلاق[3].

بعد أن أنهى الأمير المراحل الأولى من التعليم في مدرسة القيطنة أرسله والده للالتحاق بأخوته في معهد وهران وتونس والزيتونة وغيرها لاستكمال علومه فنهل من كل العلوم ولكنه لم ينس تلك الطبيعة التي نشأ في أحضانها والبيئة الإسلامية التي نشأ فيها فجعل لها الدور الأول في إستراتيجيته العسكرية والسياسية عندما استلم حكم البلاد وقيادة المقاومة[4].

10- خصالـــــه:

أشتهر عبد القادر في شبابه بالفروسية، فكان فارسا متحمسا وكم من وقعة خاضها فخرج منها ظافرا، منتصرا وقد أبان قدرته وشجاعته الحربية منذ ضعضع أركان غزاة الجزائر من الفرنسيين[5].

درس الأمير عبد القادر تحولات البلاد الشرقية ونظمها ولفت انتباهه ما شرع فيه آنذاك محمد علي[6]

---

[1] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص39، ص40.

[2] عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص34 .

[3] عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص182 .

[4] الأميرة بديعة الحسني الجزائري، المصدر السابق، ص43 .

[5] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج4، ص61، ص62.

[6] **محمد علي:** ولد في 1183 (هـ 1769 / م)بمقدونية اليونان، أبوه هو إب ا رهيم آغاولي مصر من 1805 (م إلى 1848م)وأجرى إصلاحات عظيمة في مصر أهمها تشجيع تام للصناعة المحلية وتشجيع كبير لحركة الترجمة والعلم، حاول الانفصال عن الدولة العثمانية بالتوسع في مناطق كثيرة،
حطمته الدول الأوربية بمعاهدة لندن .أنظر :عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج 6 ، ط1 ، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، 1990 ، ص.

من إصلاحات في البلاد وتفتحت أبصاره على آفاق أخرى خارج البلاد وعرف الأمراض التي يعانيها المجتمع الإسلامي في كل ناحية وفي كل ميدان[1].

نشأ الأمير في معهد العلوم والتقوى واعتنى بالتحصيل جد الاعتناء حتى تفوق في الأدب والفقه والتوحيد والحكمة العقلية وكان مع ذلك لا يهمل المثاقفة بالسلاح وركوب الخيل بحيث نبع من جهة عالما فاضلا ومن جهة ثانية مثقفا فارسا فجمع بين السيف والقلم[2].

وبذلك تكونت لديه مكتبة ضخمة كانت هي ثروة الدنيوية وقد اتسمت هذه الهواية في مرافقته طوال حياته.

وخلاصة لما سبق نستنتج أنّ الأمير عبد القادر شخصية تجلت بها عدة صفات حسنة تؤهله لأن يكون قائدا وإماما فكلّ تلك الصفات جعلت منه قائدا مؤهلا لبناء دولة وطنية عصرية إداريا وثقافيا وتكوينا وعقائدي وعسكري وسياسي لأنّه كان الأول من بين المقاومين الثوريين الجزائريين الذي طالب بوحدة الجزائريين ووحدة التراب الوطني، حيث قام بعدة رحلات كان لها أثرها العميق في نفس الشاب عبد القادر الذي أخذ في الاعتزال عن الناس والانصراف إلى العبادة.

11- مبايعتـــــــه:

- **البيعة الأولى:**

بعد أن أمعن محي الدين النظر في هذا الأمر رأى أنّ الاهتمام به واجب وتعين عليه شرعا أن يقوم به لأنّه مسموع الكلمة نافذ الأمر، غير أنّه لما كان عاجزا عن القيام بأعبائه و رأى أنّ ولده المنوب به قد بلغ أشده وأرهف حده وترشح للإمارة و تأهل لها[3].

واستكملت فيه شروطها من الهدى وعلو الهمة وقوة الحواس وكمال الخلق، وجمال الصورة وشرف النسب والعلم والحلم وغير ذلك من الفضائل ومكارم الأخلاق ومحاسنها.

وبذلك قال محي الدين: "**إنّكم تعرفون أنني رجل سلام مكرس نفسه لعبادة الله و إنّ الحكم يقتضي استعمال القوة الفظة وسفك الدماء، ولكن ما دمتم تصرون على أن أكون سلطانكم فإني أقبل ولكن أتنازل عن ذلك لصالح ابني عبد القادر**"[4].

---

[1] عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص182.

[2] أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائرن 1995، ص159.

[3] محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأحبار الجزائر، المصدر السابق، ص181.

[4] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص56.

وقد استقبل الحاضرون هذا الحل الفجائي وغير المنتظر للمشكل بأصوات الموافقة العالية، فاسم عبد القادر قد ردد بحماس وكانت شخصية وملامح وشجاعة محي الدين المفضل هو موضوع الحديث الرئيسي ونتيجة لذلك أرسل إليه فارس لإحضاره من القيطنة[1]، جلس عبد القادر جانب والده وإخوته الذين علت وجوههم ابتسامة الرضا لأنّ كل منهم كان يدرك أنّ شقيقهم عبد القادر كان أكثرهم شجاعة وقوة وتحمل وكان وسامة وسرعة بديهة وكانوا يفخرون به ولم يبد أي منهم اعتراضا لاختيار أبيهم له، وعندما اكتمل هذا الاجتماع التاريخي تقدم الوالد من عبد القادر مبايعا وشد على يده قائلا: **"كيف ستحكم البلاد يا ولدي؟ أجابه عبد القادر" بالعدل والحق الذي أمر به رب العالمين سأحمل القرآن بيد وعصا من حديد بيد أخرى، سأسير على هدي كتاب الله وسنة رسوله"**[2].

وتباشر الناس لذلك لما رأوا من إقدامه للزحف و إقدامه الصف بعد الصف وشاهدوا فيه من الصفات العليا والنعوت السنية.

فاجتمع أشرافهم وعلمائهم وأعيانهم وتداعى صغيرهم وكبيرهم وخيموا عند شجرة الدردارة[3] وجلس عبد القادر تحت الشجرة وقام والده فبايعه على السمع والطاعة ودعا له ثم لقبه "بناصر الدين" وبعدها بايعه الإخوة وسائر القرابة ثم الإشراف والعلماء والأعيان والرؤساء على حسب مراتبهم وطبقاتهم بايعوه على ما بايعه عليه والده[4]، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ سورة الفتح "آية 18". وبذلك بادر ائتلاف قبلي على مبايعة عبد القادر الذي كان يبلغ من العمر أربعا وعشرين سنة[5].

•البيعـــة الثانيـــة:

وافقت يوم 21 نوفمبر1832م حيث دخل الأمير عبد القادر مدينة معسكر، وقد غصت كل الشوارع والطرق المؤدية إلى المدينة بلقياه، وكان الرجال والنساء والأطفال يتبادلون التهاني في مظاهرة ترحيب سار بسلطانهم المستقبلي.

---

[1] المرجع نفسه، ص56.

[2] الأميرة بديعة الحسني الجزائري، المصدر السابق ص25.

[3] **شجرة الدردارة:** شجرة عظيمة كانوا يجتمعون إليها للشورى بينهم، أنظر: محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ج1، ص182.

[4] المصدر نفسه، ص182.

[5] فرانسوا مسبيرو، سانت أرنو أو الشرف الضائع، تر: أحمد بكلي، مراجعة، مسعود الحاج مسعود، طبعة خاصة، دار القصبة، الجزائر، 2005، ص93.

وبذلك قال والد الأمير لمن طلبوا مبايعته فيما معناه أنّ: ولدي عبد القادر شاب فطن صالح لفصل الخصومة ومداومة الفروسية مع كونه نشأ في عبادة ربه وأعتقد أني فديت به نفسي لأنّه عضو مني وما أكرهه لنفسي أكرهه له[1].

وهذا ما جعل قبائل المنطقة معسكر يعترفون بابنه الأمير عبد القادر وعمره لم يتعد 24 سنة أمير المؤمنين وقاد الجهاد[2].

وبعد انتخابه سلطانا[3] للجزائر سنة 1832 أخذ عبد القادر لقب أمير المؤمنين[4].

وقد أصدر كثيرا من البيانات إلى الجزائريين داعيا إيّاهم للطاعة والدفاع عن وطنهم ضد المعتدين وتوحيد أنفسهم واليقظة للأخطار التي تحيط بهم، ومن بين تلك البيانات ما جاء على لسانه :**"إنّكم أيّها الجزائريون قد أصبحتم الآن تحت رحمة رومي، يقاضيكم رومي ويدبر شؤونكم رومي ... إنّ الرومي قد انتهك مساجدكم وأخذ أحسن أراضيكم ... إنّ يوم يقظتكم قد حان هلموا جميعا عند سماع صوتي أيّها المسلمون إنّ الله قد وضع سيفه الملتهب في يدي وإنّنا جميعا سنمضي إلى الأمام ونروي حقول وطننا بدماء الكفار"**[5].

وقد تمت بيعة عبد القادر أميرا وحامل لواء الجهاد من طرف القبائل على هذه الصيغة:

---

[1] أحمد كمال الجزار، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء والأكابر، مراجعة وتقديم، محمد زكي إبراهيم، ط1، مطبعة العمرانية للأوفست، مصر، 1997، ص25.

[2] Benjamin stora, op.cit, p.23.

[3] **لقب السلطان:** عرف عن الامير أنّه قد تلقب "السلطان" كي لايثير ضغينة سلطان المغرب واكتفى بلقب أمير، أنظر: أحمد كمال الجزارن المصدر السابق، ص 24.

[4] **لقب أمين المؤمنين:** رغم أنّ الأمير لقب بأمير المؤمنين منذ البيعة في معسكر سنة 1832 فإنّ لقب الأمير أو السلطان لم يكن شائعا عند الموالين له في غرب البلاد ووسطها وشرقها بل كانوا يفضلون استعمال لقب "الحاج" لأنّه ذو معنى روحي وأعمق في نفوسهم، أمّا لقب السلطان فهو زمني وكذلك الأمير، غير أنّ الأجانب هم الذين كانوا يستعملون السلطان والأمير حتى شاع بين الجزائريين أيضا، أنظر: أدريان بيربروجير، مع الامير عبد القادر، رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة "1837-1838"، تر: أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2005، 102.

[5] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1990-1930، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص40، ص41.

"بايعناه على السمع والطاعة والامتثال للأوامر، ولو في الواحد منا أو في نفسه وقدمنا نفسه على أنفسنا وحقه على حقوقنا"[1].

وخطب الأمير في الناس خطبة قصيرة حثهم فيها على الطاعة وإلتزام رأي الجماعة، ثم أول ما قام به عبد القادر الشاب هو أن دخل إلى بيته وناد زوجته فقال لها: **"من واجبي الآن أن أخيرك بين أمرين**[2] **إن أردت أن تبقي معي من غير التفاف إلى طلب حق من حقوقك عليّ و إن أبيت فلكي ما تريدين وأمرك بين يديك لأني قد تحملت ما يشغلني عنك**[3]"، ثم خرج إلى المسجد الجامع فصلى الظهر بالناس ثم خطب بهم خطبة مبتكرة طويلة تحتوي على وعظ ووعد ووعيد وأمر ونهي وحث على الجهاد وبعد الانصراف منه أفاضل العلماء لتحرير نص البيعة[4].

وفي هذه الأوضاع المعقدة تقلد الأمير زمام الأمور وحاول أن يجمع كلمة الشعب ليزحف على الأعداء رغم وجود صعوبات جمة تعتري طريقه[5].

12- مرضه و وفاتــه:

قد ذكر الأمير شكيب أرسلان في كتابه (حاضر العالم الإسلامي) في قوله[6]: "**كان المرحوم الأمير عبد القادر متخلق في العلم والأدب، سامي الفكر راسخ القدم في التصوف، لا يكتفي به نظرا حتى يمارسه عملا، ولا يحن إليه شوقا حتى يعرفه ذوقا، وله في التصوف كتاب سماه "الموقف"**.

كان الأمير في شبابه وكهولته يتمتع بصحة جيدة، وفي أخريات أيامه عرضت له أسقام

وأمراض وآلام والأوجاع تلقاها بالصبر والجلد فتردد عليه الأطباء مصبحين وممسين يعالجونه وهكذا دواليك إلى أن وقفت عجلة التاريخ في ليلة السبت 24 ماي 1883م[7].

والتحق بربه في 17 رجب 1300هـ[8] وذلك بقصره الكائن بـ " دمر" قرب دمشق وقد تولى غسله

---

[1] محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص45.

[2] عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص182.

[3] محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج2، ص182.

[4] المصدر نفسه، ص182.

[5] ضيف الله محمد الأخضر، محاضرات في النهضة العربية الحديثة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981، ص37، ص39.

[6] الأمير عبد القادر الجزائري، الموقف، ج1، تحقيق: عبد الباقي مفتاح، دار الهدى، الجزائر، 2007 ص38.

[7] يحيى بوعزيز، بطل الكفاح الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص56.

[8] يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا، ج1، المرجع السابق، ص148.

وتكفينه نزيله "الشيخ عليش" أحد علماء الأزهر الشريف[1].

حمل نعشه المبارك على أكتاف الرجال الأماجد إلى الجامع الأموي وبعد الصلاة عليه شيعه أهل دمشق بغاية الاحتفال والتعظيم ولا يزالوا سائرين بجنازته وعليها من الاحتفال والوقار ما تخشع له القلوب وتشخص له الأبصار إلى أن أوصلوه إلى حجرة الشيخ الأكبر[2] محي الدين بن العربي داخل القبة[3].

خرجت الأمة تشيع الذي حوى حسب قول شوقي أمة و بحرا عيابا... وصلى عليه في الجامع الأموي الذي كان يمضي الكثير من ساعات نهاره فيه، معلما ومدرسا ومتعبدا وحمل النعش بعد ذلك ليدفن في الصالحية في الجامع المعروف باسم الشيخ محي الدين، الى جانب ضريح ابن عربي رحمهما الله رحمة واسعة[4].

ورجع الناس متأسفين على فراقه لمحاسن أوصافه ومكارم أخلاقه[5] وترك الأمير ليسكن فسيح الجنان، ويسعد بجنة الرضوان وينعم برضاء الرحمان بعد أن قضى ستة وسبعين عاما، كانت كلّها كفاحا وجهادا ممتلئة بالأعمال الجليلة محفوظة بالمآثر الخالدة والبطولة العظيمة[6].

ويضيف الكاتب محمد بن عبد الملك الزغبي في كتابه "مائة من عظماء أمة الإسلام" بقوله[7]: "وفي 26 ماي 1883 انتقل إلى رحمة الله تعالى الأمير البطل عبد القادر الجزائري في منفاه في دمشق، لكي تستغل فرنسا فرصة غيابه وتحول الجزائر إلى مقاطعة فرنسية بعد أن منعت فيها المحاكم الإسلامية، وقامت بطمس اللّغة العربية واستبدالها باللّغة الفرنسية".

ظل الأمير عبد القادر وهو بعيدا عن أرض الوطن يتنقل بين إسطنبول وباريس بعد أدائه فريضة الحج مدة ثمانية عشر شهرا بين مكة والمدينة المنورة، وكان حضر افتتاح قناة السويس وواصل الكتابة في

---

[1] عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص211.

[2] عبد القادر الجزائري، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، المصدر السابق، ص17.

[3] يحيى بوعزيز، بطل الكفاح الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص56.

[4] نجاح العطار، الأمير النبيل وبطل الأسطورة، الملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية، المصدر السابق، ص235.

[5] عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص17.

[6] يحيى بوعزيز، بطل الكفاح الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص56.

[7] محمد بن عبد المالك الزغبي، مائة من عظماء، أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، الطبعة الأولى، دار التقوى، مصر، 2010، ص71.

موضوعات تخص منها: الشوفيزيانية، وتوفي سنة ألف وثمان مئة وثلاثة وثمانين بدمشق وفي 1966 نقل جثمانه الطاهر إلى الجزائر ودفن في مقبرة العاليا بجوار الشهداء الأبرار[1].

[1] Abd eh Kader et l'algérie au XTXE, siécle dous les tilly, EDIF, 2000, paris, 2003, p .50.

خلاصة الفصل:

نستطيع القول بأنّ الأمير عبد القادر تلقى تعليما عربيا دينيا أصيلا وكان نسبه نسبا شريفا يعود إلى الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، كما كان لأسرته الدور الفعّال في تكوين شخصيته حيث أخذ عن والده مختلف العلوم الدينية في فقه وتشريع إضافة إلى الأخلاق الحسنة.

تميز الأمير بأوصاف تغنى بها الكاتبون وحظي بذلك في العديد من الكتابات التاريخية ويفتخرون بسجاياه ويقدرون مواقفه ويعتزون ببطولاته.

نشأ الأمير نشأة دينية بفضل مصادره المحيطة به التي تمثلت في والده وعشيرته وقومه سالكا مسلك آبائه وأجداده في الأخذ بالأسباب وآداب النفس.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: المنفى والاغتراب

المبحث الأول: تعريف المنفى وأنواعه

1- المنفى لغة واصطلاحا
2- ظهور شعر المنفى
3- أنواع المنفى
4- الظواهر الفنية في شعر المنفى
5- المنفى في الشعر العربي القديم

المبحث الثاني: الاغتراب وأنواعه

1- الاغتراب لغة واصطلاحا، الاغتراب والغربة.
2- أنواع الاغتراب

المبحث الاول: تعريف المنفى وأنواعه

***المنفى لغة:**

"تتفق أغلب المعاجم العربية حول جذر كلمة المنفى أي "النفي" الذي يعني: الطرد والإبعاد، والإقصاء والنبذ، والتنحية، والمنفى: مكان النفي، والجمع مناف والنفي خلافا للإيجاب، ومنه أدوات النفي: أي أدوات الإثبات التي تدل على عدم وقوع (أو انتفاء) والخبر أو الحدث".

أمّا المعاجم الإنجليزية فتصل الكلمة بدال (الخروج) معلقا، فالمنفي "Exile" هو" ومن على الخروج من بلدته أو مدينته، وبخاصة لمدة زمنية طويلة، وكثيرا ما يكون عقابا، والكلمة مشتقة من مادة "Exsitium" اللاتينية [1]، ويجمع مدلول الكلمة الانجليزية "Exile" بين النفي (المكان) والنفي (الشخص). والمقطع (Ex) يعني الخروج مطلقا، إما الخروج من الوجود "Existence" (أي الموت) أو من الوطن، "ومصطلح المنفى في الانجليزية –حقل دلالي يدور في فلكه الكثير من الدوال والمفردات التي تشكل منظومة دلالية تدور جميعها حول فعل النفي بمفرداته المتباينة"[2]. نذكر منها مثلا "Exodus" (هجرة جماعية نزوح)، "Expellrd" (مطرود)، "displard" (مرتحل– مرحّل)، diaspora (الشتات الديسبور: اليهود المشتتون في الأرض بعد الأسر البابلي لهم)، depoxtation (ترحيل ونفي)، Exiled تعني (منفيّ – مستبعد – منبوذ) émigrant (مهاجر: من كلمة émigration، alien (مغترب، من كلمة alienation) refuger تعني (لاجئ من كلمة refugation)...

واللّغة الفرنسية نجد دوال النفي تبدأ بالمقطع (**Ex**) ذاته، هو الحال في الإنجليزية Exile (منفي – مبعد)، Expatriation (تغرب وإبعاد عن الوطن) L'Exode (سفر الخروج) في العهد القديم[3].

***أمّا الناحية الاصطلاحية:**

فالمنفى هو الإبعاد عن الوطن، ونزع الألفة، والمنفى (منزلة بين منزلتين)، زمان ومكان مؤقت يقع بين زمنيين ومكانين، أحدهما ماضي صيغت ملامحه في الوطن المبعد والآخر وشيك الحدوث في

[1] محمد الشحّات، سرديات المنفى، أزمنة للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2006، ص23، نقلا عن كلود بيشو أو أندرية م، روسو أدب مقارن، ص196.

[2] المرجع نفسه، ص167.

[3] المرجع السابق، ص24.

مستقبل القريب(من الموت) هكذا يكون المنفى (البرزخ)، أو هو ذلك الاستثناء بين الحياة و الموت، أنه الحياة البينية لكثير من البشر والفنانين والكتاب في مجتمعنا المعاصر[1]، أما المنفى فهو (المنبت) الذي لا جذور له، وهو ""الأبتر" الذي لا يرجى منه خيرا، والأنبياء ومن بينهم موسى أو عيسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم)، ذاقوا مرارة النفي والتهجير"[2]، "وتعرضوا الطلب (اللجوء). ومغادرة الأوطان، بحثا عن عالم آخر بديل، عالم أرضي يملؤه العدل بعد أن ملأه الطغاة والجبارون ظلما، أو بحثا عن فردوس مفقود سوف تصوغه– فيما بعد، وبأزمة ممتدة في عمق التاريخ – مخيلات الطامحين إلى العدل، والراغبين في إعمار الأرض، ولاسيما المبدعون والفنانون والفلاسفة"[3].

2- ظهور شعر المنفى:

عرف العالم العربي نهضة شاملة منذ نهاية القرن التاسع عشر ونتج عن ذلك بروز الأفكار التحررية التي أدت إلى قيام ثورات في وجه المستعمر، وكان رجال العلم والثقافة أول من حملوا لواء الثورة فتعرضوا لشتى أنواع المتابعات القضائية المقضية إلى سجن الكثيرين من رواد هذه الثورات، وإبعاد بعضهم خارج أوطانهم، مما أدى إلى ظهور "شعر المنفى" والمنفى أثر في الشعراء، إذ أن طبوغرافيا الرحيل شكلت موضوعا امتزجت فيه أحاسيس النفي والغربة بذاكرة أمكنة الانتماء، ومن ذلك اقترنت صورة المنفى بموضوع الغربة فاتجه النص الشعري إلى استنطاق المكان وإعادة فضاءاته.

"وقد ارتبط مفهوم الحرية بالمكان، وأصبحت الحرية مجموعة الأفعال التي يستطيع الإنسان أن يقوم بها دون أن يصطدم بحواجز أو عقاب "[4].

غير أن النفي والشتات يشكلان أهم عقاب أمام حرية الشاعر، فعدم الاستقرار وعدم القدرة على العودة إلى الوطن جعلت الشاعر ينطوي على نفس مما زاد حبه واشتياقه إلى وطنه الأم حيث يقول فريش " إن الوطن مجموعة من الذكريات "[5] " فشعر المنفى أو كما يطلق عليه شعر المعاناة بدرجة الأولى قائم بين

[1] محمد الشحّات، سرديات المنفى، ص24.

[2] المرجع نفسه، ص24.

[3] محمد الشحّات، سرديات المنفى، ص35.

[4] عبد الصمد بلكبير، مجلة عيون المقالات، المغرب، عدد13، ص62.

[5] محمد الشحّات، سرديات المنفى، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006، ص31.

الإنسان وموطنه الأصلي وبين النفس والبيئة الحقيقية فالحزن والانكسار ثوب هذا الشعر عاملان يضاعفان من جهد الفنان المبدع"[1].

"كان موضوع الغربة والحنين إلى الأهل والديار والأوطان والشوق إلى الحمى وصور الفراق وآلام الغربة قد استرعت أذهان الكثير من الكتّاب والأدباء واهتماماتهم في التراث العربي، فمنهم من أفاض فألف كتابا ومنهم من أوجز فكتب رسالة ضمن كتاب ومنهم من ذكر ذلك عرضا"[2]، فالشاعر عرف أثر الغربة والحنين إلى الديار وقد عاش هذه التجربة على مدى العصور" فالشاعر في منفاه يحس بأنّه غريب في كل شيء غريب عن وطنه وغريب عن أحباءه، غريب عن كل الوجود، فموضوع الغربة ابلغ ما سطره قلمه[3].

"فشعر المنفى أو شعر الحنين الذي تناول موضوعات تمتاز بالعاطفة الصادقة والأحاسيس الحزينة المتأججة فهو شعر التجربة الشعرية الشعورية التي خاضها الشاعر منذ القديم معبرا عن شعوره بالفقد والإحساس بالاغتراب من خلال أشعاره الرقيقة التي لا تكاد يخلوا منها أدب أمة من الأمم "[4].

"فإذن الشاعر هو إنسان يمر بعديد من التجارب متباينة في نوعها وفي مداها فيتفاعل معها نفسيا وفكريا، يصوغها في أشعار ونصوص إبداعية نابعة من قلبه ومعانيه مليئة بالإحساس حتى يوصلها للقارئ "[5].

فشعر المنفى مرتبط بالتجربة الذاتية، بالشوق والحنين إلى الوطن، " فالمنفى لم يزعزع من عزيمة الشاعر بل زاده عزما وطاقة فالشاعر لا يمكن أن يعيش في وطنين في الوقت نفسه وزمنيين مختلفين يعيش هنا ويحن هناك ويعيش في الحاضر ويحن غلى الغائب والماضي، ويتأمل المستقبل لأنّه قبضة من تراب ونفخة من روح، وهذا ما جعل الشاعر دائم الشوق والحنين "[6]. فالحنين فيض من الوجدان يقارب ما سلف بما يحدث فيربط الحاضر بالماضي والمكان بأشخاص وأحداث، فشعر المنفى شعر رقيق الشعور وإحساس دقيق والتجربة التي تزيد من محبة الشاعر لوطنه حيث يتصل بالذكريات فتمتلكه

---

[1] المرجع السابق، ص31.

[2] يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص14.

[3] المرجع نفسه، ص147.

[4] يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص147.

[5] المرجع السابق، ص147.

[6] محمد الشحّات، سرديات المنفى، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006، ص147.

مشاعر الخيبة والإحباط فشعر المنفى شعر صادق العاطفة " فصدق الشاعر في شعره في التعبير عن إحساس صادقا ألم به، وعصفت برأسه حمياه... فصدق الشعور من أقوى أسباب الإجادة الشعرية لدى الشاعر، والصدق العاطفي وصدق الاعتقاد عن الشاعر باعث قوي على انفعال الآخرين بشعره وتأثرهم بنتائجه "[1] فالشاعر متعلق بوطنه محب إليه حتى وإن ارتحل عنه حن إليه، وخفق قلبه شوقا إليه فسطر بقلمه وكتب أسمى الأشعار تنبض بالوفاء والحب لوطنه العزيز" فشعر الاغتراب شعر صادق العاطفة والحنين والشعور، والتجربة راهفة الحس، والانفعالات الإنسانية النابضة، والمتدفقة والمغلفة بالنبرات الحزينة المؤلمة "[2].

فأشعار المنفى هي أشعار نابعة من القلب محبة للوطن وعواطف جياشة ناجمة عن تجربة حقيقية في الغربة بداخل الإنسان، فهو شعر في معظمه يتميز بالسلالة، والدقة والبساطة، المعاني، وروعة الصور، فالشاعر ينقل شدة معاناته بشكل أدق في دنيا الغربة والارتحال أو العزلة ولذلك كانت " قصيدة المنفى تحمل موضوعا واحدا ولم تكن متعددة المواضيع لأنّها تعبر عن حقيقة عاشها الشاعر، وتفاعل معها وقد استولت على إحساسه ووجدانه فعبر عنها في عبارات جميلة عذبة وصور في غاية الإبداع "[3].فإنّ هذه القصيدة تحمل في طياتها موضوعا واحد، متشبع، وواسع، ومفتاحها الألم وعذاب، فإنّ هذه القصيدة صحيح أنّها تحمل موضوعا واحد لكنّها تتنوع فيها الأغراض نتيجة الأسباب التي يمر بها الشاعر فنجد الغزل والرثاء... وغيرها من الأغراض وقد سميا شعر الغربة نسبة إلى الغراب مصدر الشؤم " يذكر الجاحظ كلام تشاؤم العرب بالغراب يقول ومن أجل تشاؤم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب "[4] فغراب مصدر للتعاسة منذ القديم، فالغربة شيء مشؤوم فهي تستدعي الحنين والحاضر يستدعي الماضي واللذة تستدعي الألم، فمشاعر النفي تنتقل وتتململ بين الأسى والحزن ممّا عقد وحشية اللقاء، وغرس حي العودة إلى الوطن فيوقع بكلمات جدا\ معبرة فهو ينطلق من ذاته ليصل إلى ذات الآخر فيؤثر فيها ويجعلها تحس بما يشعر به الكاتب من ألم ووحدة أليمة مرة.

فقد عرف شعر المنفى منذ القدم عند طائفة من شعراء نذكر منهم المتنبي وامرؤ القيس وغيرها ويظهر ذلك في معلقاته أمّا في العصر الحديث نجد من الشعراء الذين عاشوا محنة الفراق عن الوطن

---

[1] فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، ط1، 1993، ص144.

[2] المرجع السابق، ص144.

[3] فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، ص150.

[4] المرجع نفسه، ص17.

والأهل والأحبة، نذكر البياتي والبارودي، وأحمد شوقي، فكان شعر المنفى شعر فارضا نفسه له مكانة عظيمة، وكان محط دراسات عديدة كما أنّه ينطوي على الرومانسية إذ تعتبر كيان هذا الشعر " فشعر المنفى في صورته الرومانسية ظاهرة لا ينجو منها الشاعر الحقيقي لأنّه ليس مرحلة من المراحل الشعرية للشاعر، بل هو حالة التي سيكونها الشاعر مع روحه المنعكسة على التجربة، فالشخصية الرومانسية من أكثر الشخصيات الإنسانية قابلة لوقع في أفخاخ الاغتراب لأنّها طبيعة مثالية مرهفة للتكوين، حادة الخبال والوجدان "[1]، إذن شعر المنفى شعر رومانسي وذات شاعرية وحلم مثالي لأنّ الشاعر يحن إلى المكان الذي ولد وترعرع فيه فهو مكان الطفولة والشباب فالمكان بالنسبة للشاعر هو الحياة وهو جزء من كيانه فمهما ابتعد عنه بقية أطلال هذا الوطن في مخيلته، لأنّه وفي دائما له.

وفي الأخير ما علينا إلاّ أن نقول بأنّ فترة المنفى مهما طالت أو قصرت ومهما كان البلد الذي أنفيا إليه قريب أو بعيد فإنّ هذا يعلم الإنسان درسا مهما في الحياة وهو حب الوطن.

3- أنواع المنفى:

وللمنفى عدة أنواع نذكر منها:

أ)- المنفى الداخلي:

"وفيه تعاني الذات الشاعرة أو الروائية ضغوط سياسية تدفع بها إلى الرحيل بين المدن داخل البلد نفسه، أو العيش عند المدن الحدودية. ومن هذه الشخصيات"[2]:

- عبد الرحمان منيف: (الشجار واغتيال مرزوق).

- منصور عبد السلام (الشخصية –الراوي) يخرج من بلده، لأنه مطرود (أو مسرح) من عمله بالجامعة، الأغراض سياسية.

- سليم بركات: (معسركات) لأيد 1993- تصور عائلة كردية تعاني تسلط المستعمر الفرنسي، وتعاني قمعا داخل حدود الوطن (داخل حدود ما بقي منه)، فتحيا مع غيرها من العائلات المتناثرة كحزر منعزلة في معسكرات أبدية خانقة ومولدة لكل ما هو "غريب".

[1] كاميليا عبد الفتاح، بواعث الاغتراب وجموع التكوين، دار المطبوعات الجامعية، إسكندرية، ط2، ص62.
[2] محمد الشحّات، سرديات المنفى، ص36.

ب)- المنفى الخارجي:

"وفيه تعاني الذات الروائية ضغوطا سياسية تدفعها دفعا إلى مغادرة الوطن في غيابات المنافي المختلفة، أو"اللجوء" إلى إحدى الدول التي لا ترد اللاجئين إليها، ومنها روايات"[1].

- جبرا إبراهيم جبرا: (البحث عن وليد مسعود1987)- ترسم تفاصيل حياة المنفى الفلسطيني "وليد مسعود" وعذابه في المنفى (العراق)، ثم قراره بالعودة الفجائية إلى منفى الوطن بعد معرفته باستشهاده ابنه مروان دفاعا عن الوطن المنفي.

- بها طاهر: (الحب في المنفى 1990)- الراوي الصحفي (المتكلم في الرواية) منفي اختيارا (ومطرود في الوقت نفسه) من جريدته القاهرة إلى المدينة "ن"الأوروبية، وإلى جوار آخرين منفيين جبرا.

ج)- المنفى المزدوج:

"وفيه تعاني الذات الروائية ضغوطا سياسية واجتماعية مرعية تدفع بها إلى درجة من الاضطرابات الذي يصبح العالم "منفى"، سواء داخل الوطن أو خارجه ولعلّ أفضل ما يمثّل وضعيته "المنفى المزدوج" رواية "أميل حبيبي" وقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل"، حيث يعاني سعيد المتشائل مرارة النفي داخل الوطن "المنفي هو الآخر، فإلى هؤلاء [إسرائيل باعتباره واحدا من عرب إسرائيل]، ينتمي، ولا إلى أولئك [الفلسطينيين المنفيين أبدا] يعود، إنّه وضع "بيني"[2] مزدوج" تنقسم فيه الذات على نفسها، وتنسحب رؤيتها المزدوجة على كل شيء: اللّغة، والهوية، والثقافة، والوطن ...إلخ"[3].

د)- منفى وجودي:

"وفيه تعاني الذات الروائية أزمة وجودية بحق، فالوطن وما سواه منفى كبير يلحُ على الذاكرة والوعي والمخيلة"، ولعلّ أبرز الأمثلة على هذا الوجه من وجوه المنفى رواية "واسيني الأعرج" ذاكرة الماء: محنة الجنون العاري 1997، وهي رواية منفى وجودي بامتياز، يكون فيها الراوي منفيا داخل وطنه (الجزائر في حقبة الثمانينات) ومنفيا خارجه (في هجراته المتكررة إلى فرنسا) وتمثّل الرواية تمثيل فنيا وثقافيا لافتا أثر المنفي في ذاكرة الراوي وفي سرديته في مجتمع الجزائر الذي كان يملؤه الرعب آنذاك، وينتشر فيه القتل

[1] المرجع نفسه، ص37.

[2] محمد الشحّات، سرديات المنفى، ص37.

[3] المرجع نفسه، ص37.

والإبادة ونفي الآخر جسديا ومعنويا. والرواية إجمالا تمثّل فنّي ليوم في حياة أحد المنفيين، ويوم يكاد يبلغ يوم القيامة في طوله ووطأته"[1].

هـ)- منفى اللّغة:

"وفيه تعاني الذات الروائية وضعا أشبه ب "المنفى المزدوج"، إنّه ازدواج هوية أولئك الكتّاب العرب الذين يحملون وعيا عربيا ولسانا أجنبيان وتطرح رواياتهم مثل هذا الازدواج بين وعي الثقافة ووعي اللّغة ويتجسد هذا الوجه من المنفي في أغلب إنتاج كتّاب المغرب العربي وكتابته ممن يمارسون (أو يمارسن) الكتابة بالفرنسية، ولا ينفصل هذا الإنتاج الروائي الضخم لكتاب المغرب العربي وكتابته عن سنوات من المد"[2].

"(أو الغزو) الاستعماري الفرنسي لهذه المنطقة من العالم العربي، رغم تمرد الكثير من مبدعي هذه المنطقة الآن، وظهور كتابات وتناهض مثل هذه الهيمنة (الثقافية إلى الآن على الأقل)[3].

4- الظواهر الفنية في شعر المنفى:

شعر المنفى هو شعر وجداني ينظم خارج الأوطان ممّا جعل شعراء المنفى تفيض قرائحهم فتميزوا هؤلاء الشعراء بجملة خصائص أهمها:

1- الاعتماد على موسيقى شعرية مؤثرة ذات طابع رومانسي، بحيث يستخدم الشاعر مصطلحات مؤثرة في النفوس.

❖ **يقول محمود درويش:**

خذني إليك.. !

دعني أحسُ حرارة الدنيا لديك

دعني أروي شوقيَ الظامي إليك

[1] محمد الشحّات، سرديات المنفى، ص37.

[2] المرجع نفسه ص37.

[3] محمد الشحّات، سرديات المنفى، ص37.

دعني أعيش عل يديك[1]

- يظهر الجانب الموسيقي من خلال الاعتماد على الامتداد الصوتي، فالشاعر هنا

يحتاج إلى رفيق وأنيس يحركه ويبهجه فهو يدعو الأمة العربية إلى أن تحس بما تحس به فلسطين.

2- استخدام ألفاظ ذات دلالات واضحة، أي أن يشير الشاعر إلى الأماكن والأشخاص والأشياء باستخدام مسمياتها الأصلية، مثل الإشارة إلى مدينة أو حي.

❖ **يقول بدر شاكر السّياب:**

إن مت يا وطني فقبر في مقابرك الكئيبة

أقصى مناي وإن سلمت فإن كوخا في الحقول

هو ما أريد من الحياة فدى صحاراك الرحيبة

أرباض لندن والدروب ولا أصابتك المصيبة

على أراضيه فتمنى وجود كونا يؤويه[2]

- الشاعر بدر شاكر السياب يحن إلى بلده العراق، كتب هذه الأبيات وهو في لندن

يتمنى العودة إلى وطنه ليجد قبرا على أرضه وكوخا يؤويه.

3- وصف المكان الذي أبعد إليه:

❖ **يقول أحمد شوقي:**

كنيسةٌ صارتْ إلى مسجدِ.. هديةُ السيد للسيدِ

كانت لعيسى حَرَماً.. فانتهت بنصرة الروح إلى أحمدِ

[1] عميش العربي، محمود درويش خيمة الشعر، المكتبة الوطنية، الجزائر،ط1، 2014، ص25.

[2] يوسف أبوزيد، الأدب العربي الحديث (الشعر)، الميسر للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2014، ص586-ص587.

شيدها الروم وأقيالهم على مثال الهرم المخلد[1]

- يصف أحمد شوقي في هذا المقطع مسجد "أيا صوفيا" بإسطنبول خلال الفترة التي أبعد فيها إلى تركيا، ويصف جماله الداخلي والخارجي ويشبهه بجمال الأهرام.

4- مزج بين الشوق والقضايا السياسية والاجتماعية

❖ **يقول البارودي:**

وَمِنْ عَجَائبِ ما لاقَيْتُ مِنْ زمنِي أنّي مُنِيتُ بِخَطبٍ أمْرُهُ عَجَبُ

لم أقترفْ زَلَّةً تقتضي عليَّ بما أصبحتُ فيهِ فماذَا الويْلُ والحربُ

فهلْ دفاعِي عن ديني وعنْ وطني ذنبٌ أُدانُ بهِ ظلماً وأغتربُ[2]

- وهذا البارودي في الاتجاه السياسي يحضن فيه الثورة وينصح الثوار ويصف تخاذلهم ويحرضهم على الثبات ويتعجب بنفيه وتعذبه وهو الذي لم يقترف ذنبا اتجاه وطنه ودينه، فالبارودي يعاني من نار فراق وطنه ويتمنى له النجاح في جميع الاتجاهات.

5- الحنين إلى الماضي:

❖ **يقول البارودي:**

ذهبت الصبا وتولت الأيام فعلى الصبا وعلى الزمان سلام[3]

- الشاعر البارودي يحن في هذا البيت إلى أيام الصبا التي انقضت بسرعة، فهو يحن إلى الماضي والأيام الجميلة التي فاتت.

6- الشكوى من الغربة:

[1] يحي شامي، شوقيات، دار فكر العربي، بيروتن سنة 1996، جزء أول، ص193.

[2] صلاح الدين محمد عبد التواب، مدارس الشعر العربي في عصر الحديث، دار كتاب الحديث، القاهرة، ط1.

[3] محمود سامي البارودي باشا، ديوان البارودي، ت، على الجارم وأخر، دار الكتاب المصرية، القاهرة، سنة 1942، ج2، ص481.

❖ **يقول البارودي:**

أبَى الشَّوقِ إلاَّ أن يحِنَّ ضميرُ وكُلُّ مشوقٍ بالحنينِ جديرُ

وهلْ يستطيعُ المرءُ كِتمانَ لوعَة يَنِمُّ عليها مدْمعٌ وزَفير؟[1]

➢ البارودي يصف شوقه وحنينه إلى وطنه الغالي فهو لم يستطع كتمان لوعته وحرقته لبعده عن وطنه مصر.

7- الحنين إلى الوطن والأهل:

فيا أخا العدل لا تعجل بلائمه عليّ فالحب سلطان له الغلب[2]

➢ في هذا البيت من القصيدة ألقاها البارودي وهو بسر نديب يبكي من شدة الحنين إلى مصر.

5- المنفى في الشعر العربي القديم:

لاشك أنّ البيئة الجاهلية لم تكن بعيدة كل البعد عن الجو العام الذي يحمل في داخله بذور النفي والغربة فالنظام القبلي بها يحمل من نظرة شاملة لجميع أفراده لا يعني أنّ الإحساس بالوحدة فيه معدوم، فشعراء الصعاليك أنموذجا عن ذلك فقد عانوا من النفي لأسباب عديدة كخروجهم عن النظام القبلي وكذلك بسبب اللون والجنس والفقر والضعف وقد عبر هؤلاء الشعراء في شعرهم عن ذلك، ومن أمثلة هؤلاء: **الشاعر تأبط شرا** الذي تميزت حياته بالصعلكة والتشرد والمغامرة الدائمة في الصحاري بين الوحوش حيث الجوع والخوف وتوقع الموت في كل حين يقول في هذا المعنى:

قليلُ ادِّخار الزّادِ إلاَّ تَعِلَّةً فقد نشر الشُّرسوفُ والتَصقَ المِعَا

يبيتُ بمَغْنَى الوحشِ حتّى ألِفْنهُ ويصبحُ لاَ يحمي لها الدّهرَ مَرْتَعَا

ولكنَّ أربابَ المَخاضِ يشُفُّهم إذا اقْتَفَروهُ واحداً أو مُشَيَّعَا[3]

[1] المرجع السابق، ص18، ص19.

[2] إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، الميسر لنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2011، ص62.

[3] ديوان تأبط شرا وأخباره، تح، علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، 1984، ص115، ص119.

المبحث الثاني: الاغتراب وأنواعه

1)- مفهوم الاغتراب:

يعد الاغتراب سمة بارزة في حياتنا المعاصرة، ويمثل الحالة المسيطرة بشكل تام على الفرد، بحيث تحوّله إلى شخص غريب وبعيد عن بعض النواحي المختلفة في واقعه .

طرح موضوع الاغتراب إشكالات عديدة، من بينها الغموض الذي يسود هذا المصطلح حيث تعرض لدراسة مختلف العلوم كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع، ومن الصعوبة وضع تحليل شامل وعام لمفهوم الاغتراب لذا "اقترن هذا المصطلح بكل ما يهدد وجود الإنسان وحرّيته وأصبح كأنّه مرض أصيب به الإنسان الحديث، ويمكن القول أنّه من الصعب تحديد مفهوما دقيقا لمصطلح الاغتراب إلا أنّ كل المفاهيم تدور حول أمور معينة تشير كلها إلى دخول عناصر معينة في مفهوم الاغتراب مثل الانسلاخ عن المجتمع والعزلة أو الانعزال والعجز عن التلاؤم"[1]. إذن نلاحظ أنّ رغم تعدّد استخدامات المصطلح إلاّ أنّها تتمحور كلّها في دائرة العزل والابتعاد والانفصال وما شابه ذلك.

يعد مفهوم الاغتراب من أكثر المفاهيم التصاقا بالإنسان "ارتبط مفهوم الاغتراب بالانفصال والابتعاد عن الأرض بين كلما هو موحش وحزين ومسبب للشّقاء فتجاوز المدلول المادي إلى ما هو أعمق وأبعد من ذلك والذي يتجلّى في المعنى الحسي المتعلّق بالنفس والجانب الروحي"[2].

لا نكاد نعثر على تعريف موحد للاغتراب، وذلك لتعدد معانيه واتساعها والتباين الكبير في توظيفها "فالاغتراب مقولة غير محدودة المعالم يختلف معناها باختلاف استعمالاتها فهناك اغتراب بالمعنى الحقوقي وهو التنازل عن الملكية لصالحِ آخر، كما تعني في الطب الاضطراب العقلي الذي يجعل الإنسان غريبا عن ذاته ومجتمعه، أمّا في الفلسفة فتشير إلى غربة الإنسان عن وجوده"[3].

بالرّغم من هذا الغموض الحاصل إلاّ أنّنا سوف نورد قدر الإمكان معنى الاغتراب لغة واصطلاحا ومن وجهة عربية وغير عربية، لتبيينه وتحديد مفاهيمه ودلائله عند طائفة من العلماء.

---

[1] عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، ط1، القاهرة، 2003، ص22.

[2] فيصل عباس، اغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، ط1، لبنا، 2008، ص21.

[3] سناء خضر، النظرية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدّين، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 1999، ص98.

1.1 ـ الاغتراب لغة:

أ ـ في اللّغة العربية:

يرد لفظ الاغتراب في المعاجم العربية بمعنى الغربة المكانية، أي البعد عن الوطن فقد جاء مثلا في لسان العرب لابن منظور" الغُربة والغُرْبُ: النزوح عن الوطن، واغترب الرّجل: نكحَ في الغرائب، وتزوَّج إلى غير أقاربه. وأَغْرَبَ الرّجل: صار غريبا. ورجلٌ غريبٌ ليس من القوم، والغرباء: الأباعد. والغريبُ الغامض من الكلام. والمُسْتَغْرِبُ: الذي جاوز القَدْرَ في الخُبْثِ، وأغرب الرّجل إذا ضَحِكَ حتّى تبدو غروبُ أسنانِه. وفي الحديث: إنّ فيكم مغّربين، قيل: وما مُغَرّبون؟ قال: الذّين يشترِك فيهم الجِنُّ، سُمُّوا مُغَرّبين لأنّه دخل فيهم عِرْقٌ غريبٌ، أو جاؤوا من نَسب بعيد".

ونجد المعاني نفسها في "مختار الصحاح" في مادة غرب تقول" تَغَرَّبَ واغتربَ بمعنى فهو (غريب) و (غُرُبٌ) بضمتين والجمع (الغُرباء) والغرباء أيضا الأباعدِ. (والتَّغريبُ) النّفي عن البلد. و(أَغْرَبَ): جاء بشيءٍ غريبٍ و(الغَرْب) و(المَغْرِبُ) واحد. (والغاربُ) مابين السّنام إلى العُنُقِ ومنه قولهم: حَبْلُكِ على غارِبِكِ: أي اذهبي حيث شِئتِ". تبيّن لنا أنَّ المعنى المشترك للفظ الاغتراب في المعنى اللّغوي هو النفي والابتعاد.

يشير الزمخشري" في معجمه أساس البلاغة يقول: غرُبه أبعده، وغرُب بعُدَ. تكلم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وتقول: فلان يُعرِب كلامه ويُغرِبُ فيه، وفي كلامه غرابة، وغرّب كلامه، وقد غربت هذه الكلمة أي غمُضت فهي غريبة ومنه: مصنف الغريب، وقول الأعرابي: ليس هذا بغريب ولكنكم في الأدب غرباء، وأغرب الفرس في جريه والرّجل في ضحكه إذا أكثر منه".

ويقال: "تغرُب أتى من الغرب والغربيُّ من الشجرِ. استغربَ و استُغربَ واغرَبَ: بالغ في الضحك. المغْرَب، بفتح الراء: الصبح وكل شيء أبيضَ، الغارب: الكاهل أو مابين السّنام والعنق".

وترد مادة (غرب) في المعاجم العربية للدلالة على البعد فجاء" اغتربوا: تزوّجوا الغرائب. وكانوا يقولون إنّا الغرائب أنجبوا الأولاد. والغرب والغربة: البُعد، وغَرَبَ بَعَدَ. وفي اللّغة العربية: أن يغترب يعني أن (يكون الآخر).

تتعدد المعاني التي يتسع لها لفظ الاغتراب وقد قيل "الغريب من جفاء الحبيب، وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب، بل الغريب من تغافل عنه الرقيب، بل الغريب من حاباه الشريب، بل الغريب من ليس له نسيب، بل الغريب من ليس له من الحق نصيب"[1].

كثرت المعاني في المعاجم العربية للفظ الاغتراب إلاّ أنّها أخذت ما كان له صلة مباشرة بالاغتراب وهو البعد والنفي وهذا ما يمثّل الجانب المادي من الاغتراب.

ومن خلال هذه المقولة الأخيرة ندرك أنّ البعد والغربة لا يكمنان فقط في الابتعاد عن الوطن دائما وإنّما قد يكون الإنسان داخل وظنه وبين أهله وخلانه ولكنه يشعر بالاغتراب عنهم. ويمكننا القول أنّ كلمة اغتراب تنوعت من معجم إلى آخر، لكن الملاحظ هو أنّ لهذا المصطلح دلالة مزدوجة، فقد دلّ على الغربة المكانية أو الجغرافية من جهة باعتبار أنّ التغريب هو النفي عن البلد، أو السفر والهجرة إلى بلد قريب أو بعيد أي الانتقال من مكان إلى مكان، كما دلّ على الغربة الاجتماعية من جهة أخرى، لأنّ نكاح الرّجل في غير أقاربه لا يعني انفصاله عنهم أو قطعه للصّلة التي تصله بهم بل هي غربة عن الأهل والانشقاق عنهم، بالرغم من تواجده في بلده وأرضه إلا أنّه اغترب عنهم.

فهذه إذن بعض المعاني التي وردت عن مفهوم الاغتراب في بعض المعاجم العربية، أمّا إذا نظرنا إلى مفهوم هذا الأخير في المجال اللّغوي وعند غير العرب أي من وجهة عالمية سوف نجده يتعدد ويتلون بتلون المفاهيم واللّغات والاتجاهات.

ب . في اللّغة الانجليزية:

نستطرّق إلى مفهوم الاغتراب في كل من اللّغتين الفرنسية والانجليزية بالإضافة إلى اللّغة الألمانية."اشتقت الكلمة الانجليزية Aliénation ونظيرتها الفرنسية Aliénation، الدالة على الاغتراب من الكلمة اللاتينية Alenatio وهي اسم يستمد معناه من الفعل اللاتيني Alienare بمعنى ينقل أو يحول أو يسلم أو يبتعد، وهذا الفعل بدوره مأخوذ من كلمة لاتينية أخرى وهي Alienus يعني الانتماء إلى الآخر. وهذه الأخرى مشتقة في نهاية الأمراض كلمة Aluis بمعنى "الآخر" أو "آخر"[2].

---

[1] المرجع السابق، ص37.

[2] سهير عبد السلام، مفهوم الاغتراب عند هاربرت ماركيوز، دار المعرفة الجامعية، د ط، مصر، الأزايطية، 2003، ص21.

وكما أنّ أحد استخدامات هذه الكلمة يرتبط بما يتعلّق بالملكية أيضا، أي نقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر بمعنى أنّ ما هو ملك لي، وينتمي إليّ يصبح ملكا لغيري، غريبا عليّ.

"إنّ المقابل للكلمة العربية اغتراب هو الكلمة الانجليزية Aliénation والكلمة الفرنسية Aliénation وفي الألمانية Entfremdung وقد اشتقت كل من الكلمة الانجليزية والفرنسية أصلها من الكلمة اللاتينية Aliénation وهي اسم مستمد من الاسم اللاتيني Alienare والذي يعني نقل ملكية شيء ما إلى آخر"[1].

أو يعني: "الانتزاع أو الإزالة، وهذا مستمد بدوره من كلمة أخرى هي Alienus أي الانتماء إلى شخص آخر أو التعلق به "[2] بمعنى أن أنتمي إلى غيري وأتعلق به وأصبح رهن إراداته، فالمصطلح الألماني يدل في معناه المباشر على العملية التي يصبح فيها الشخص غريبا.

كما اخذ المصطلح في العصور الوسطى معنى الفعل الذي يفيد قيام شخص ما بتغريب شيء يمتلكه، ف Alien تعني "الانتماء والتعلق بالآخر وبالتالي السطو والسلب"[3].

وانطلاقا من هذه الأقوال نلاحظ أنّ استعمالات الاغتراب تتعدد لذلك نجد معناه يختلف في القانون والطب والأدب. "يعني في الطب الاضطراب العقلي الذي يجعل الإنسان غريبا عن ذاته و مجتمعه، أمّا في الفلسفة فتشير إلى غربة الإنسان عن جوهره"[4].

إنّ جميع المعاني التي تعبّر عن مصطلح الاغتراب تشترك في معنى واحد وهو الانفصال والانسلاخ، لكن هذا الانفصال قد يكون عن شيء ما كالملكية وقد يكون عن الآخرين أو عن المجتمع.

2.1 ـ الاغتراب اصطلاحا:

الاغتراب ظاهرة إنسانية وجدت بوجود الإنسان وهو من المواضيع الهامة التي عبّر عنها القرآن الكريم، حيث أنّ خروج آدم من الجنة وهبوطه إلى الأرض كان أول اغتراب في البشرية جمعاء، وهذا يدلّ

---

[1] د. حسن حماد، الإنسان المغترب عند أريك فروم، دار الكلمة، د ط، القاهرة، مصر، 2005، ص61.

[2] يحيى عبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2005، ص21.

[3] صبا نور الدين، الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريان ع322، 2000، ص328.

[4] سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص 98.

على أنّه مصطلحا قديما وتعود بدايته إلى بداية ظهور الإنسان، وتعريفه مازال غائما غير محدّد من كثرة التعريفات وتعدد زوايا النظر في مستوياته. "فالاغتراب أصل في الإنسان منذ نزول أول البشريين "آدم وزوجته حواء" إلى الأرض حيث ابتعدا عن الجنة والرفقة الأولى لهما تبعا للخطيئة الأولى التي ارتكبها الإنسان فانسلخ عن الذات الإلهية وعن مقره الأول"[1].

يختلف اغتراب الإنسان من شخص إلى شخص آخر، ويمكن تصنيف مصطلح الاغتراب إلى ثلاثة سياقات رئيسية هي :"سياق قانوني" بمعنى انفصال الملكية من أصحابها وتحولّها إلى آخر، و"سياق نفسي اجتماعي" بمعنى انفصال الإنسان عن ذاته ومخالفته لما هو شائع في المجتمع، وهو بمعنى الاضطراب العقلي، أو قصور القوى العقلية أو الحواس لدى المرء، و"سياق ديني" بمعنى انفصال الإنسان عن اللّه"[2].

وهذا ما يبيّن لنا أنّ الإنسان في اغتراب دائم حيث ما كان وكيف ما كان لأنّه مرتبط به منذ ولادته " فرحلة الإنسان هي عبارة عن اغتراب دائم، يبدأ بالاغتراب عن وطن القبضة (قبضة الحق) حين أشهدنا اللّه على ربوبيته في عالم الذر ثم عمرنا بطون الأمهات فكانت الأرحام موطننا، فاغتربنا عنها بالولادة فكانت الدنيا وطننا، واتخذنا فيها أوطانا فاغتربنا عنها بحالة تسمى سفَرا وسياحة، إلى أن اغتربنا عنها بالكلية إلى موطن يسمى البرزخ، فعمرناه مدة الموت، فكان وطننا، ثم اغتربنا عنه بالبعث إلى أرض الساهرة "[3].

لعلّ أبلغ تعريف عند العرب القدامى لمعنى الاغتراب هو ما أشار إليه أبو حيان التراجيدي في كتابه (الإشارات الإلهية) حين قال: فأين"أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه وقل خطه ونصيبه وسكنه؟ فأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة له على الاستيطان"[4]. فالاغتراب على حد هذا الوصف هو إحساس وشعور الفرد بالانفصال عن الآخرين أو الذات أو كليهما، وهذا المعنى هو ما أكدته

[1] جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي السوف، ع8، جوان 2012، ص348.

[2] رافد سالم سرحان شهاب، أثر القرية والاغتراب في شعر الجواهري، مجلة التقني، المجلد 26، ع6، 2013، ص113.

[3] مسعودة بن علية، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالاغتراب النفسي لدى المراهق الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015، ص110.

[4] معتز قصي ياسين، الاغتراب في شعر أحمد مطر، مجلة تشرين، للدّراسات والبحوث العلمية، السنة السابعة، العدد14، 2012، ص49.

كثير من الدّراسات النقدية وبهذا فالاغتراب هو "ما يعبّر عنه الفرد عن انفصال ذاته حيث ينفصل الفرد عن مشاعره الخاصة ورغباته ومعتقداته، وهو فقدان الإحساس بالوجود الفعّال"[1].

يرى أغلب الدارسين لمفهوم ظاهرة الاغتراب أنّ الفيلسوف الألماني "هيجل" هو الذي أشار إليها وتعرّض لدراستها دراسة معمقة حيث يعتبر أنّ: " الاغتراب يعني انفصال الذات الإنسانية ككيان روحي تنفصل عن وجوده ككائن اجتماعي كما اعتبره أيضا في طرح آخر تنازل الإنسان عن استقلاله الذاتي وتوحده مع الجوهر الاجتماعي"[2].

إنّ المتتبع للأصول التاريخية للاغتراب ولاسيما الكتابات العديدة التي تناولته، نجد قاسما مشتركا لمعانيه المختلفة ألا وهو فكرة الانفصال وما يرتبط بها من شعور بعدم الراحة فيمثل " حالة الأقدرة والعجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على الخاص، وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية بما فيها تلك التي تهمّه وتسهم في تحقيق ذاته وطموحاته "[3].

فهو إذن حالة إنسانية نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد، فتجعله غريبا وبعيدا عن واقعه الاجتماعي، فيجعل الفرد عاجز عن الانسجام مع الناس فيما يلهون فيه.

ويمكن القول أنّه بمثابة صراع ذاتي داخلي للفرد، وصراع بينه وبين الوسط المحيط به للخلاص من القهر والظلم والاستغلال، والعبث والفوضى، والزلل والخطأ، والنزع والاغتصاب، والفساد والانتهاك وإلى غير ذلك من المظاهر التي تدفعه إلى الشعور بالوحدة والقلق والاضطراب.

" ستخدم مصطلح الاغتراب بمعنى حالة الانفصال بين الفرد والموضوع، وبين الفرد والأشياء المحيطة به، وبين الفرد والمجتمع، مما أنّ علاقة الفرد بالأشياء أو بالموضوع علاقة غير سوية، فهو يعيش بين أهله وفي مجتمعه ولكن في دائرة الغربة والانفصال، إنّه يعيش في عالم مجرد من القيم لدرجة أنه لا يرفض الحياة فقط بل يعاديها، فيدخل الفرد إلى عالم لا انتماء ويفقد الحس والوعي "[4].

---

[1] عزيز السيد جاسم، الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد، العراق، 1998، ص31.

[2] جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص348.

[3] د. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز، دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ص37.

[4] منصور بن زاهي، الشعور بالاغتراب الوظيفي وعلاقته بالدافعية للإنجاز لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم النفس العمل، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2006- 2007، ص18.

يذهب " **سارتر**" إلى أنّ الاغتراب:" ظاهرة اجتماعية ذات جذور تاريخية واقعية، حيث تدخل القوى المنتجة في الصّراع مع علاقات الإنتاج وأصبح العمل الأخلاقي مغتربا ولم يعد الإنسان يتعرف على نفسه في إنتاجه وبدا له عمله كقوة معادية له "[1].

فإذا أمعنا النظر في هذه المقولة لحدّد لنا أنّ الاغتراب هو الحالة التي يفقد فيه الإنسان القدرة على القيام بأدواره الاجتماعية الغير المستعصية. وبهذا فهو تدمير وانهيار لذات الشخص وتمزق مشاعره وبالتالي لا يفقد نفسه فحسب بل يفقد نفسه بوصفه موجودا له خصائصه الإنسانية وبهذا يجد نفسه يمضي في الحياة على نحو لا إنساني لأنّ الاغتراب " يشكل أكبر مشكلة لدى الإنسان عبر العصور المختلفة، وفي هذا العصر وبالذات حيث انفصل الإنسان على الإنسان في المكان، وتباعد في الزمان فالمعاناة والشعور بالوحدة وبالفناء المحتوم، تشكل سمة واضحة في شخصية المغتربين وسلوكهم، فالاغتراب نمط من التجربة يعيش الإنسان المغترب من خلال هذه الظاهرة المرضية كشيء غريب والاغتراب بشكل تنافرا بين الطبيعة الجوهرية للشّخص المغترب ووضعه وسلوكه الفعلي"[2].

تسطو ظاهرة الاغتراب على حالة الإنسان فتجعله يعاني نوع من الاضطراب في علاقته بنفسه وأيضا بالعالم كلّه فيعاني من الفقدان والنقص من العلاقة التي يجب أن تكون متوقعة ومتوفرة وتجعل له مواقف شائعة غريبة وغير طبيعية، ويوصف الروائي "**ألبير كامن**" الشخص المغترب في روايته (الغريب):" بحالة ذلك الشاب الجزائري الذي يعيش في فرنسا ويملك شقة خاصة ويعمل أهل البلاد، ويرتاد المقاهي، ويقابل صديقات له في شقته، ويحضّر لنفسه الطعام، ويؤدي ما عليه، لكنّه في نهاية الأمر يحمل أفكارا لا يريد أن يتنازل عنها، ويشعر بالتزامه بها والمحافظة عليها والتّصرف بموجبها، إنّه يبدو غريبا في مجتمع لا يتفق معه ويعتبرها آراء تأتي من (الخارج) وإن كان هذا الشاب يعيش في نفس المجتمع"[3].

وهكذا يتمحور معنى الاغتراب حول شعور الفرد بأنّه غريب عن ذاته، أو عن مجتمعه الذي يحيا فيه فهذا الشاب وبالرّغم من أنّه تنطبق عليه نفس القيم التي تنطبق على غيره إلا أنّه يشعر أنّه لا يتوحّد مع

[1] سمية بن عمارة، د. منصور زاهي، الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الانترنت، دراسات نفسية تربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، ع10، جوان 2013، 53.

[2] درابسة محمود، الغربة في شعر حسن أبو بكر الغزازي، مجلة تشرين للدّراسات والبحوث العلمية، ع1، م14، 1992، ص115.

[3] منصور بن زاهي، الشعور بالاغتراب الوظيفي وعلاقته بالدافعية للانجاز لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، ص18.

هذه القيم وأنّه منفصل عنها.

وبهذا الاغتراب وصف لحال الإنسان الواقع تحت سيطرة وهيمنة سلطة ما تسلبه ذاته وماهيته وتدفعه للشعور بأنّه في واقع مخالف ومغاير لواقعه تماما، "فنشير هذا المصطلح إلى إذابة وتصفية وإنهاء العلاقة بين الفرد والآخرين، ويعني مفهوم الاغتراب أو الاستلاب بشكله العام خصام أو فصل بين الفرد ومحيطه"[1].

ويمكن التحديد على مفهوم الاغتراب بالقول بأنّه:" مفهوم يؤكد التجاذب النفسي بين الرضا والرفض، بين الحرية والقهر، بين الانفتاح والانغلاق، بين الرجاء والإحباط، بين سقوط الإنسان ومحاولة تجاوز هذا السقوط أو الانحراف، بين التوازن والاضطراب...إنّه بمعنى آخر تعبير عن التوتر والقلق النفسي، وضياع الذات أو استشعار الخوف من فقدان الأمن والأمان، والفرح والسعادة، والتواصل مع الجوهر الطبيعي"[2] من هنا فإنّ الاغتراب أن يغرّب الإنسان نفسه عن طبيعته الجوهرية بمعنى آخر أن يضيّع الإنسان شخصيته الأولى. فالاغتراب يعبّر عن عدم الرضا ورفض الأمور السائدة ومحاربتها، وانعزال الفرد عمّا يدور حوله، وسلوكه مسلك الاحتجاج والتمرّد لأنّه يرى فرقا شاسعا بينه وبين ما يتطلبه الواقع. وبالتالي فهو" شعور الفرد أنّه غريب عن ذاته، لا يجد نفسه كمركز لعالمه وأنّه خارج عن الاتصال بنفسه كما هو خارج عن الاتصال بالآخرين"[3]. وأيضا:" ازدواج الإنسان الذي خلق رموزا ومؤسسات ولم يعد يتعرف عليها كنتاج لنشاطه، فأصبح يعتبرها مستقلة عن إنسانيته وصعبة المنال"[4]، أمّا "**إجلال سرّي**" فتقول: "أنّه اضطراب نفسي يعبّر عن اغتراب الذات عن هويتها، وبعدها عن الواقع وانفصالها عن المجتمع، وهو غربة عن النفس، وغربة عن العالم، وغربة بين البشر"[5].

من خلال هذه التعريفات يمكن تعريف الاغتراب بأنّه: هو الحالة التي يتعرض فيها الإنسان إلى الضعف والعجز والاكتئاب والانهيار في الشخصية أي إحساسه بالانفصال عن المجتمع والأمور السائدة فيه. والاغتراب من المنظور الوجودي يعني" انفصال الفرد عن الأنا الواقعية بسبب الانغماس في

---

[1] سهير عبد السلام، مفهوم الاغتراب عند هاربرت ماركيوز، ص22.

[2] د. حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، المجلد ع1+2، م27، 2011، ص24.

[3] أ. جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص349.

[4] جمال الدّين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب تونس، تط، 2002، ص37.

[5] أ. جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص348

التجديدات وضرورة التطابق مع رغبات الآخرين ومطالب المؤسسات الاجتماعية"[1].

أمّا في علوم النفس أوضح "**كمال دسوقي**" أنّ الاغتراب يشير إلى ما يأتي:

الشعور بالوحدة والغربة، وانعدام علاقات المحبة أو الصداقة مع الآخرين من الناس، وافتقاد هذه العلاقات خصوصا عندما تكون متوقعة.

حالة كون الأشخاص والمواقف المألوفة تبدو غريبة، ضرب من الإدراك الخاطئ فيه تظهر المواقف والأشخاص المعروفة من قبل، وكأنّها مستغربة أو غير مألوفة.

انفصال الفرد عن الذات الحقيقية بسبب الانشغال العقلي بالمجردات وبضرورة مجارات رغبات الآخرين وما تليه النظم الاجتماعية، فاغتراب الإنسان المعاصر عن الغير وعن النفس هو أحد الموضوعات المسيطرة على فكر الوجوديين"[2].

نلاحظ أنّ كلّ هذه التعريفات التي أشار إليها "**كمال دسوقي**" ترتكز على اعتبار الاغتراب أنّه انعدام وانفصال الشخص عن العلاقات والشعور بالوحدة وعدم الرّضا بما يدور واستغراب العادات المألوفة وعدم استيعابها.

رغم تعدّد وتنوّع المفاهيم التي طرأت على مفهوم الاغتراب، إلاّ أنّها ركزت كلّها على المفهوم السلبي للاغتراب وهو الاضطراب والقلق والشعور بالوحدة، إلاّ أنّ "**روسو**" أكدّ أنّ لمفهوم الاغتراب جانبين: أحدهما إيجابي والآخر سلبي فيقول:

"فأنّ يسلم الإنسان ذاته إلى الكلّ وأن يضحيّ بها في سبيل هدف نبيل وكبير كقيام المجتمع، أو دفاعا عن الوطن اغتراب إيجابي. أمّا أن ينظر الإنسان إلى ذاته كما لو كانت شيء أو سلعة يطرحها للبيع في سوق الحياة، فهذا اغتراب سلبي"[3]. إذن فبما أنّ الإنسان في جوره مغترب فعليه أن يكمن اغترابه في سبيل هدف وجيز لا مذموم.

---

[1] منصور بن زاهي، الشعور بالاغتراب الوظيفي وعلاقته بالدافعية للانجاز لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، ص17.

[2] عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص29.

[3] عاطف محمّد كنعان، الغربة والاغتراب في شعر الإمام الشافعي، جامعة البتراء، كلية الآداب والعلوم، عمان، الأردن، العنوان الالكتروني afkanaan، ص11.

يمكن تصنيف الاغتراب إلى ثلاث سياقات رئيسية هي:

1)- سياق قانوني: بمعنى انفصال الملكية من صاحبها وتحويلها إلى آخر، وهذا ما أشار إليه **شاخت** بمعنى الانتزاع أو الإزالة.

2)- سياق نفسي: بمعنى انفصال الإنسان عن ذاته ومخالفته لما هو شائع في المجتمع ويكون هذا كما أشار إليه **شاخت** بمعنى الاضطراب العقلي المتعلّق بحالة فقدان الوعي وشلل أو قصور القوى العقلية أو الحواس لدى المرء.

3- سياق ديني: بمعنى انفصال الإنسان عن اللّه[1].

على الرغم من شيوع مصطلح الاغتراب إلا أنّه مازال غير محدد المعالم، يختلف معناه تبعا لاختلاف استعمالاته واستخدامه في بحوث ومعان تبتعد عن المعنى المشترك، مما يعطي للمفهوم مضامين مختلفة ومتنوعة إلاّ أنّها تدور وتشترك كلّها في نقطة واحدة ألا وهي "الانسلاخ عن المجتمع، والعزلة أو الانعزال، العجز عن التلاؤم، والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع، واللامبالاة، وعدم الشعور بالانتماء بل انعدام الشعور بمغزى الحياة"[2]. وكلّ هذه النقاط ناتجة إلى تحوّل منتجات ومستلزمات الفرد إلى أشياء مستقلة عنه وناتج أيضا عن التناقض والتصادم بين الواقع والحلم، ومن هنا فيشعر المرء بوعي هذا الاختلاف بين ما هو موجود وما هو مطلوب وبهذا يجد نفسه مغتربا عن العالم الذي يحيط به.

إنّ النظر والتمعن في هذه المفاهيم يدفعنا للقول أنّ الاغتراب انفصال في علاقة الفرد بنفسه، والعالم، حيث يشعر الفرد بأنّه غريب عن ذاته، منفصل عن واقعه "يعيش في عالم مجرّد من القيم يسوده جوّ كريه لدرجة أنّه لا يرفض الحياة بل يعاديها أيضا، ويعني أيضا أنّ الفرد دخل إلى عالم لا انتماء، وأنّه في هذه الحالة يتميّز بفقدان الحس وغياب الوعي"[3].

1-3/ الاغتراب والغربة:(مفارقة اصطلاحية):

يشير الاغتراب إلى حالة تحول الكائن إلى خارج ذاته أو تجاوز ذاته، وإنّ استخدام كلمة الاغتراب في العلاقات الإنسانية يدلّ على الإحساس بالغربة، أو الانسلاخ سواء عن الذات أو عن الآخرين، فمصطلح

---

[1] المرجع السابق، ص10.

[2] مها روحي إبراهيم الخليلي، الحنين والغربة في الشعر الأندلسي "عصر سيادة غرناطة"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2007، ص24.

[3] مسعودة بن علية، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالاغتراب النفسي لدى المراهق الجزائري، ص28.

الغربة يأخذ نفس المعنى للاغتراب، خاصة فيما يتعلق بالانفصال والبعد "الغربة هي النزوح والبعد عن الأوطان لأسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية"[1].

يمكن القول إنّ ظاهرة الغربة ومفهومها تتمثل في الشعور الذي يمكن أن يشعر به الإنسان عندما يغادر مسقط رأسه أو موطنه إلى مكان آخر، أو الشعور للذي يراود الفرد حين يضطر للانفصال أو النزوح عن مجتمعه أو بمفهوم آخر هي: "انتقال المرء من مكان إقامته بين أهله، وجيرانه، وأصدقائه، وذكرياته، وموطنه إلى موطن آخر يعيد فيه ترتيب أوضاعه فيكوّن صداقات جديدة وجيران جدد وذكريات جديدة وموطنا جديدا"[2].أمّا المعنى الآخر الذي يشير إلى البعد والاغتراب فهو الذي يقرّ أنّ الغربة تعني: "النوى والبعد والتنحي عن الناس، والتغريب والنفي عن البلدان والأوطان ولعلّ أقسى أنواع الغربة هي الغربة داخل الوطن بسبب الظلم والاضطهاد، والخوف أو الفقر والحرمان، ومن أقوال علي بن أبي طالب "الفقر في الوطن غربة، والغنى في الغربة وطن"[3].

الغربة والاغتراب تلتقيان خاصة في الاشتقاق اللّغوي وهذا يعني أنّ هاتين الكلمتين تتفقان من حيث الدلالة المعجمية والاصطلاحية. "جاء في المعجم الأدبي أنّ الغربة تعني عاطفة تستولي على المرء"[4].

أمّا في معجم المصطلحات الصوفية "فكلمة غربة تقال في الاغتراب عن الحال في النفوذ إليه، والغربة عن الحق غربة عن المعرفة"[5]. ويرادف معنى الغربة أيضا الاستلاب وهذا ما جاء به **جميل صليبا** في معجمه الفلسفي حيث يقول: " الغربة مرادفة للغيبة، لأنّ غيبة الشيء غروبه، ومنه قولهم غاب الشيء في الشيء أي توارى فيه، أو مرادفه أيضا للاستلاب، لأنّ غربة النّفس استلاب حريّتها"[6] من هنا يمكننا القول أنّ الغربة تفقد للإنسان حرّيته واستقلاله وذلك بتأثير لأسباب مختلفة "أي أنّ الغربة أو الاغتراب

---

[1] رافد سالم سرحان شهاب، أثر الغربة والاغتراب في شعر الجواهري، ص113.

[2] فاطمة جمشيدي، ملامح الاغتراب في شعر "على فودة" وردود فعله عليه، إضاءات نقدية، السنة السابعة، ع27، 2017، ص73.

[3] د. يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص17.

[4] الحضي عبد المنعم، معجم المصطلحات الصوفية، دار المسيرة، ط2، بيروت، 1987، ص190.

[5] عاطف محمد كنعان، الغربة والاغتراب في شعر الإمام الشافعي، ص9.

[6] جميل صليبا، المعجم الفلسفي (بألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية)، ج1، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، د ط، بيروت، لبنان، 1982، ص765.

حالة نفسية انفصامية، داخلية ناتجة عن أسباب خارجية، على الرغم من أنّ الحالة النفسية أصل والأسباب فرع"[1].

من هنا صار الاغتراب والغربة والتغرب يعني البعد والمفارقة عن المكان والتعلق به والشوق إليه والسعي إلى معانقته.

2)- أنواع الاغتراب:

إذا إعتبر مفهوم الاغتراب إشكال وجه للدّراسين في تحديد مفاهيمه وضبط زواياه وذلك بالنظر إلى الغموض الذي كان يكتنفه فإنّ أشكاله وأنواعه كانت أكثر منه غموضا وتعقيدا "لأنّه ليس هناك شيء يسمى بالاغتراب الشامل الذي يجمع سائر الأنواع معا، وليس هناك شيء يسمى بالاغتراب- س، أو الاغتراب- و، غير أنّ سائر الأنواع من الاغتراب لا تُعد ولا تُحصى، كانت موجودة ولا تزال موجودة ولعلّ علماء الاجتماع والفلسفة الاجتماعيين يحسنون صنعا إذا وجهوا اهتمامهم إلى هذه الأنواع"[2]. سوف نحاول قدر الإمكان التّعرض إلى أهم هذه الأنواع وأكثرها انتشارا لتبيين مداها وخصوصياتها.

2-1)- الاغتراب الاجتماعي: Social Aliennation:

إنّ مفهوم الاغتراب الاجتماعي يقع على الضد تماما من مفهوم الانتماء الاجتماعي " **Affiliation Social**" وهو نوع منتشر بكثرة بين الناس فهناك من يغترب وينفصل عن الناس، وهناك من ينفصل عن العادات المكتسبة، كما نجد من يشعر بالغربة من الحكام وسياستهم حيث يقول "**شاخث**" :" انعزال الفرد اجتماعيا إلى كونه شخصا خلاقا، فربما بحكم كونه كذلك شخص غير متوافق، يضع التقاليد موضع التساؤل أو يخرج عنها، وكلّما كانت أصالته أكثر عمقا ازداد عمق اضطراره للاغتراب عن مجتمعه"[3].

كما يعتبر حالة يشعر خلالها الفرد بالانفصال عن المجتمع، وما يعانيه هذا الانفصال من شعور بالوحدة والغربة، وانعدام علاقات المحبة والصداقة مع الآخرين فيكون عاجزا على أن يتواصل اجتماعيا مع عادت وتقاليد الثقافة التي يعيش فيها فهو إذن "شعور بعدم التفاؤل بين الذات وذوات الآخرين و نقص

[1] د. حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، ص25.

[2] ريتشارد شاخت، مستقبل الاغتراب مع دراسة بعنوان المشروع الفلسفي عند ريتشارد شاخت، تر: وهبة طلعت أبو العلا، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 2001، ص59.

[3] يحيى عبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، ص25.

المودة والألفة معهم وندرة التعاطف والمشاركة وضعف أواصر المحبة الاجتماعية مع الآخرين، فالإنسان لا يستطيع تحقيق هويته إلا في وسط اجتماعي يتحقق فيه التفاؤل بين الذات وغيرها من الذوات، وأنّه لا يدرك هويته إلاّ من خلال المسؤولية التي يستشعرها تجاه الآخرين[1].

ويمكن القول بأنّه أشد وأهم أنواع الاغتراب لأنّه الذي النمط الذي يتضمن كلّ أنواع الاغتراب بأشكاله الواسعة والمختلفة حيث يتمثل في اضطراب آلية العلاقات الاجتماعية للفرد من خلال ممارساته المختلفة مع الآخرين وبذلك فهو "يعرضه لأمراض نفسية جسمية تترجم إلى انحرافات بمسارات متعدّدة من خروج على النظام وتمرّد وشذوذ وتعصّب وعنف وإرهاب وتخريب إلى جانب العديد من الأمراض الاجتماعية كفقد الحسّ الاجتماعي والانتماء الوطني والسلبية واللامبالاة"[2]. وأيضا لأنّ الاغتراب الاجتماعي يشكّل "بعدا من أبعاد الاغتراب الثلاثة، فهو يقع بين الاغتراب النفسي أي اغتراب الفرد عن ذاته- **Self Allenation**- والاغتراب الثقافي-**Cultural Allenation**- أي تعامل الفرد غير الأصيل مع مفردات الثقافة التي يعيش في إطارها"[3] وباعتباره يمثّل العلاقة بين الفرد وما يحيط به وبالروابط التي تربطه مع هذا المحيط فهي بذاتها هذه الروابط تقف وراء الدوافع التي تسبّب اغتراب الإنسان لأنّه يعيش في ضلّها وبذلك فافتقاد مجتمعه لبعض المعايير يعني تحديدا فقدانها من طرف الفرد فمثلا نجد أنّ "الدّوافع التي تقف وراء الاغتراب السياسي هي نفسها الدّوافع التي خلقت الإحساس بالاغتراب الاجتماعي، لأنّ المفاهيم المسيطرة على مجتمع ما هي التي تسيطر بدورها على المفاهيم الاجتماعية، ومن ثم يكون المؤثر الأوّل مؤثرا ذات دلالات سياسية تكمن في النظام السائد ومدى صلاحية أو عدم صلاحية هذا النظام، فإذا كان قد أثبت عدم صلاحيته فبالأحرى يتكوّن أو ينبعث الإحساس لهذا الانفصال الذي يتم بين الفرد والنظام السائد"[4].

كما يتمثّل في شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين، والبرود الاجتماعي، أي ضعف الروابط مع الآخرين أو ضعف الإحساس بالمودة والألفة الاجتماعية معهم وهذا ناتج عن "ضياع المعايير الاجتماعية الخلقية التي أدت إلى ضياع العلاقات الإنسانية النبيلة في المجتمع الذي تغيرت فيه المبادئ،

---

[1] فاطمة جمشيدي، ملامح الاغتراب في شعر "على فودة" وردود فعله عليها، ص76.

[2] سمية بن عمارة، د. منصور بن زاهي، الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الانترنت، ص50.

[3] بشرى عنّاد مبارك، الاغتراب الاجتماعي وعلاقته بالحاجة إلى الحب لدى شرائح اجتماعية مختلفة من العراقيين المقيمين في بعض الدول العربية، مجلة كلية الآداب، ع85، ص6.

[4] مسعودة بن علية، المرجع السابق، ص128.

فتمزقت فيه الروح بسبب الرغبات الشهوية والتهالك على الدنيا"[1]. أي أنّ منشأ هذا النوع من الاغتراب هو الظلم وفقدان العدالة الاجتماعية، إضافة إلى شيوع اللّهو والنّفاق والكذب وكذلك زيادة الفقر في المجتمع حيث يشعرون بعدم الرّضا حول ما يدور حولهم، وبذلك عدم توافقهم وتكيّفهم مع بيئتهم لأنّ التوافق ثمرة التكيّف.

2-2)- الاغتراب السياسي:

الاغتراب السياسي من أكثر المفاهيم انتشارا، وبخاصة استخدامه في العلوم الاجتماعية المعاصرة، كالسياسة وسلوك التصويت في الانتخاب ووضع القرارات السياسية وهو شكل من أشكال الاغتراب الاجتماعي الذي يتمثل في التنافر عن أداء الدور ليس لعدم القدرة على التأثير، لكن لقواعد الموقف السياسي.

يعد الاغتراب السياسي **Political Allenation** واحد من أكثر أنواع الاغتراب شيوعا في المجتمع المعاصر بوجه عام وفي المجتمعات العربية بشكل خاص، وتبدو مظاهره وتجلياته في العجز السياسي الذي يشير إلى أنّ الفرد المغترب ليست لديه القدرة على أن يصدر قرارات مؤثرة في الجانب السياسي، كما يفتقد إلى المعايير والقواعد المنظمة للسلوك السياسي"[2]. فهو شعور بالانتصار عن النظام السياسي السائد حيث لا يستطيع التأثير على أفعال الدولة ولاتخاذ قرارات سياسية، كذلك يكون المرء في حالة عدم الرّضا أو عدم الارتياح للسلطة السياسية والرغبة في الابتعاد عنها وباختصار هو "شعور المرء بأنّه ليس له دور في العملية السياسية، وأنّ صانعي القرارات لا يضعون له اعتبارا ولا يعملون له حسابا"[3].

وإذا وسّعنا هذا المفهوم فنجد أنّه:"لا يمثّل فقط الاغتراب عن السلطة السياسية، بل إنّه يمثّل كل الاتجاهات السلبية نحو عموم هيئات المجتمع، وهو ما يؤكده "**محمود رجب**" حيث يرى أنّ المجتمع الحديث دعم انفصال الإنسان عن الطبيعة وعن ذاته من خلال اعتماده الملكية الخاصة التي أدت إلى عدم المساواة"[4]. هذا يعني أنّ الأنظمة الصادرة من طرف السلطة تجعل الإنسان يشعر بالاغتراب السياسي وخير دليل على ذلك هو الاعتماد على الملكية الخاصة في الأنظمة الاقتصادية التي هي

[1] حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، 2011، ص55.
[2] سامية بن عمارة، د. منصور بن زاهي، المرجع السابق، ص57.
[3] عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص97.
[4] جديدي زليخة، الاغتراب، ص350.

الانعكاس للقرارات السياسية أحيانا وبذلك يحمل الإنسان المغترب النظام السياسي مسؤولية ذلك فيغترب عنه. ولأنّ "السلطة السياسية هي العنصر الذي يتيح وجود كل خير، ودوامها وترسيخها في العالم الإنساني وفي الوقت ذاته الدخول في تواصل، في(تعايش) مع الخيرات الأخرى"[1].

أي أنّ المطالب السياسية تستند إلى الجدال الإنساني إلا أنّ السلطة لا تبالي لآراء شعبها وبالتالي تسلّط حكمها عليه فيغترب سياسيا.

"كما يعني الاغتراب السياسي عدم الفعالية التي تتجلى في التبلد أو اللامبالاة كاستجابة لعدم الوعي أو فقدان القدرة والقوة، والشعور بعدم الراحة أو المتعة كتعبير عن عدم الرضا وفقدان الثقة بالسلطة"[2].

2-3)- الاغتراب النفسي :

ويطلق عليه المختصون بعلم النفس اسم "الاغتراب عن الذات" ويتمثل في زوال الارتباط بين الذات وما عليه الإنسان أو ما كان عليه، بما في ذلك ارتباط حياته الراهنة بماضيه، وجوهر هذا الاغتراب هو البعد عن مشاعر المرء ومعتقداته وطاقته ذلك أنّ الإنسان حين يرصد سوء الواقع الذي يعيش فيه، ويفقد فيه المثل التي يتطلع إليها، ويعجز عن تحقيقها، ويعمد إلى الهروب من ذلك الواقع ليصنع لنفسه عالما نرجسيا منغلقا ومنفصلا عن واقعه الفعلي، فيعاني تبعا لذلك من الاغتراب[3].

أمّا مظاهره فيتفق علماء النفس على أنّها تتجلى في شعور طاغ بالألم والحزن واليأس والعجز والعزلة الاجتماعية ويتميز المغترب بالقلق والاكتئاب، مع إحساس باللا واقعية والفراغ والسأم والسخط، وغالبا ما يكون عدوائيا في سلوكه مع الآخرين، وتتفاعل هذه الأبعاد فيما بينها، وقد يزداد شعور الفرد ببعد أو أكثر من هذه الأبعاد[4].

2-4)- الاغتراب الكوني :

ويتمثل فيما يراود الإنسان من شعور بالاغتراب أو الغربة إزاء البيئة المحيطة به، سواء كانت البيئة الطبيعية، أم البيئة الاجتماعية، أم الكون برمته فهو ينشأ في الغالب، من جراء خلل في الموازنة بين

---

[1] بيير مانبيه، مدينة الإنسان، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، د ط، دمشق، 2000، ص243.

[2] دانيال علي عباس الاغتراب النفسي وعلاقته بالتحصيل الدراسي، رسالة الماجستير في علم النفس التربوي جامعة دمشق، 2015-2016، ص37.

[3] فيصل عباس، الاغتراب-الإنسان المعاصر وشقاء الوعي-، دار المنهل، بيروت، ط1، 2008، ص302.

[4] فاطمة محمد حميد السويدي، في الشعر الأموي، ص160.

الذات والكون، أو الذات والجماعة، أو الذات والطبيعة[1]، ذلك أنّ الإنسان منذ أن وعى ذاته، ووعى المحيط به، حاول أن يحقق نوعا من التواصل والتآلف بينهما، وطالما كان التآلف قائما كان التوازن قائما والحالة السوية، ولكن عندما يطرأ تحول أو تغير على أحد قطبي الموازنة يحدث الخلل، فمثلا مع بداية التكنيك الزراع يبدأ انفصال الإنسان عن الطبيعة، وبالتالي بدأ اغترابه ثم ما لبث أن أقيمت على أثر هذا التكتيك مؤسسات عديدة (المدن، الأديان، الحكومات) التي أخذت تتحكم بالإنسان وسلوكه وتطلعاته، وقد أدى هذا التحكم إلى تنامي شعوره باغتراب[2].

2-5)- الاغتراب الروحي :

ويتمثل في الشعور الذي يراود بعض الأفراد الذين تهفوا أرواحهم إلى عالم أمثل، ويرتبط ظهوره بوجود الدين في أي مكان وزمان، في المشرق كما في المغرب، فشعراء الزهد والتصوف يتأثرون ببعض المفاهيم الدينية التي تهون كثيرا من شأن الدنيا ومتعها الفانية، ومرور الإنسان بها كأنّه غريب أو عابر سبيل فكثيرا ما عبروا من زهدهم في هذه الدنيا وعن متاعها الزائل واجتنابهم للناس واعتزالهم الحياة وكل ما يتصل بها متوجهين – في نفس الوقت – إلى الله والعالم الآخر، ساعين إلى خلاص الروح من هذا العالم الأرضي لتصل إلى عالمها العلوي ولا شك أن الوصول إلى هذا الفهم أو التصور مر بمراحل وصل فيها مفهوم الزهد بصورته البسيطة إلى هذا المعنى الخالص لدى الصوفية من غربة الروح في الجسد بل في هذا العالم[3].

ويمكن القول إنّ هذا النوع من الاغتراب هو نتاج تراكم تجارب وخبرات ومعاناة يواجهها الإنسان في واقعه، إذ أن تعاقب الإخفاقات الإحباطات يؤدي بالإنسان إلى اعتزال واقعه اعتزالا كليا أو شبه كلي والسعي إلى بلوغ واقع آخر لا وجود له إلا في تصوره وخياله[4].

2-6)- الاغتراب الزماني :

الذي يعد من الأمور الغامضة، لأنّ الارتباط بين الإنسان والزمن أكثر غموضا من الارتباط بينه وبين المكان، فالمكان ثابت نسبيا، أمّا الزمان فمتغير وبالتالي فتأثيره النفسي على الإنسان أكثر غموضا

---

[1] عادل كامل، الاغتراب في الفن التشكيلي المعاصر، مجلة الثقافة، السنة العاشرة، ع 4 و 5 نسيان، 1987،القسم الأول، ص6 .

[2] عبد الأمير محسن عودة، الغربة والاغتراب في الشعر الكويتي والبحريني، ص84 .

[3] أشرف على الدعدور، الغربة في الشعر الأندلسي، ص 4.

[4] محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي ، منشورات كتاب إتحاد الأدباء العرب، دمشق،د ط، 1999، ص43.

أيضا، فالإنسان قد يشاهد شيئا معينا أو يحس بإحدى الحواس الخمس أو بأكثر من حاسة واحدة، بينما يحتاج الإحساس بالزمن إلى الحاسة الفكرية أو الذهنية.

خلاصة الفصل:

فبالتالي نستنتج أن المنفى ذو طبيعة معقدة، إنّه مفروض ومرغوب، يجري السعي إليه وتفضيل الإقامة فيه، وكذلك ذمه بوصفه حالة من الإبعاد والاغتراب الذي يدفع المرء إليه أو يجبر على عناقه.

فالمنفى حيث لايستطيع المنفي العودة إلى وطنه الأم حتى ولو رغب في ذلك، أمّا الاغتراب فهو مختار نشأ نتيجة رغبة المرء في مغادرة وطنه لأي سبب من الأسباب، ولكن التمييز ليس دقيقا، فثمة تداخل ومساحات رمادية تصل مابينهم كالتجربة الفلسطينية.

الفصل الثالث

الفصل الثالث:

نموذج تطبيقي لقصيدة الباذلون نفوسهم للأمير عبد القادر

➢ قصيدة "الباذلون نفوسهم" للأمير عبد القادر الجزائري أنموذجا:

1/ القصيدة:[1]

- يا أيّها الريح الجنوب تحمّلي *** مني تحية مغرم وتجمّلي
- واقري السلام أُهَيْل ودي وانثري *** من طيب ما حُمّلتِ، ريح قرنفل
- خلي خيام بني الكرام وخبّري *** أنّي أبيت بحرقة وتبلبل
- جفنيَّ قد ألفا السهاد لبينكم *** فلذا غدا طيب المنام، بمعزل
- كم ليلة قد بتُّها متحسرا *** كمبيت أرمد في شقا وتململ
- سهران، ذو حزن تطاول ليله *** فمتى أرى ليلى بوصلي، ينجلي؟
- ماذا يضر أحبتي لو أرسلوا *** طيف المنام يزورني يتمثل؟
- كل الذي ألقاه في جنب الهوى *** سهل، سوى بيت الحبيب الأفضل
- أدي الأمانة يا جنوب وغايتي *** في جمع شملي، يا نسيم الشمال
- وأهدي إلى من بالرياض حديثهم *** أذكى وأحلى من عبير القرنفل
- تهدي إلى طرائفها وطرائفها *** ولطائفها بتعطر وتعسل
- حاولت نفسي الصبر عنهمُ قيل لي: *** مه ذا محال ويك عنه تحوّل
- كيف التصبر عنهم؟ وهمُ همُ *** أرباب عهدي بالعقود الكمّل
- أيحل ريبُ الدهر ما عقدوا وكم *** حلت عقودي بالمني المتخيّل؟
- تفيدهم نفسي وتفدي أرضهم*** أزكى المنازل يالها من منزل؟
- أفدي أناسا ليس يُدعى غيرهم *** حاشا العصابة والطراز الأول
- يكفيهم شوقا وفخرا باقيا *** حمل اللواء الهاشمي الأطول
- قد خصهم واختصهم واختارهم *** رب الأنام لذا بغير تعمل
- هم بالمديح أحق لكن ربما *** ضاعت حقوق بالعدا والعذل
- إنّ غيرهم بالمال شح وما سخا *** جادوا ببذل النفس، دون تعلل
- الباذلون نفوسهم ونفيسهم *** في حب مالكنا العظيم الأجلل

[1] الأستاذ عبد الرزاق بن السبع،الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود اليابطين للإبداع الشعري، أغسطس 2000، ص90.

- كم يضحك الرحمن من فعلاتهم *** يوم الكريهة ، أنعم فعل الكمّل؟
- الصادقون الصابرون لدى الوغى *** الحاملون، لكل ما لم يحمل
- إنّ غيرهم نال اللذائذ مسرفا *** هم يبتغون قراع كتب الجحفل
- وألذ شيء عندهم لحم العدا *** ودماؤهم كزلال عذب المنهل
- النازلون بكل ضنك ضيق *** رغما على الأعدا بغير تهول
- لا يعرف الشكوى صغير منهم *** أبدا ولا البلوى إذا ما يصطلي
- ما منهم إلا شجاع قارع *** أو بارع في كل فعل مجمل
- كم نافسوا، كم سارعوا، كم سابقوا *** من سابق لفضائل وتفضُّل
- كم حاربوا، كم ضاربوا، كم غالبوا *** أقوى العداة بكثرة وتموّل
- كم صابروا، كم كابروا، كم غادروا *** أعتى أعاديهم كعصفٍ مؤكل
- كم جاهدوا، كم طاردوا وتجلدوا *** للنائبات، بصارم، وبمقول
- كم قاتلوا، كم طاولوا، كم ما حلوا *** من جيش كفرٍ باقتحام الجحفل
- كم أدلجوا، كم أزعجوا، كم أسرجوا *** بتسارع للموت، لا بتمهل
- كم شردوا، كم بددوا، وتعودوا *** تشتيت كل كتيبةٍ بالصيقل
- يوم الوغى يوم المسرة عندهم *** عند الصياح له مشوا بتهلل
- فدماؤهم وسيوفهم مسفوحة *** ممسوحة بثياب كل مجندل
- ما الموت بالبيض الرقاق نقيصة *** والنقص عندكم بموت الهمّل
- يا رب إنّك في الجهاد أقمتهم *** فبكل خير عنهم فتفضل
- يا رب يا رب البرايا زدهم *** صبرا ونصرا دائما بتكمّل
- وافتح لهم مولاي فتحا بينا *** واغفر وسامح با إلهي عجِّل
- يا رب مولاي وابقهم قذى *** في عين من هو كافر، بالمرسل
- وتجاوزن مولاي عن هفواتهم *** والطف بهم في كل أمر منزل
- يا رب واشملهم بعفو دائم *** كن راضيا عنهم رضا المتفضل
- يا رب لا تترك وضيعا فيهم *** يا رب واشملهم بخير تشمُّل
- متوسلا مولاي؟ في ذا كلّه *** متشفعا بشفيع كم مكمل
- وجهت وجهي في الأمور جميعا *** لمحمد غيث الندى المسترسل
- صلى عليه الله ماسح الحيا *** والآل ما سيف طا في الجحفل

- لا يحزنون لهالك بل عندهم *** موت الشهادة غبطة المتحول

2- التحليل للقصيدة:

أ- مناسبة القصيدة:

ترجع مناسبة القصيدة إلى شوق وحنين الأمير عبد القادر إلى الخليفة في منطقة القبائل حيث يقول الباحث يحي بو عزيز: " قال القصيدة متشوقا إلى خليفته وجنوده بجبال جرجرة من بلاد القبائل "[1]. أي أنّ الأمير عبد القادر نظم القصيدة وبثها إلى خليفته وجنوده المرابطين بجبال جرجرة شوقا وحنينا عليهم.

أمّا محمد بن الأمير عبد القادر يقول: " حضر وفد من الخليفة ابن سالم إلى الأمير من الشرق فأكرم وفادتهم، وأطلعهم على سائر أحواله وعند رجوعهم إلى أوطانهم سير مكتوبا إلى الخليفة هذه نصه: " أمّا بعد: فإنّي أوصيك بتقوى الله تعالى وشكره في شدة، وكن صبورا على المصائب، فالصبر مفتاح الفرج، وكن جسورا، واجمع عساكرك وعضهم برأيك السديد، تحمل منهم هفواتهم، ودبر أمورهم حسبا يجب فإن هذه الأحوال لا تدوم، وأني لا أرجوا أن أكون عندهم، ومن هناك تظهر لنا الحادة التي نتبعها ونسلك عليها "، وكتب إلى جيوشه في تلك الجهات يتشوق إليهم ويمدحهم"[2].

أمّا الباحث، عند الباحث نحو العرب الذي قام فقال في مناسبة القصيدة: " أنّه كما شاع الفرنسيون أنّ الأمير عبد القادر قد قتل ليتفرغوا جيوشه في جبال جرجرة شمال الجزائر ولما لم بذلك بعد القصيدة إلى جيوشه غير رأيه بتلك الإشاعات"[3]، ونفهم من قوله أنّ القصيدة هي تكذيب وتفنيد إشاعات الفرنسيين بمقتل الأمير عبد القادر.

أمّا علي بن محمد الصلابي يرى أنّه بعض المرجفون من العملاء أشاعوا بأمر وفاة الأمير عبد القادر لزعزعة الجيش، فقام خليفته أحمد بن سالم بإرسال وفد عاجل للأمير ليعرف صدق هذه الإشاعة ويطلب المدد منه فجاء رد الأمير عبد القادر: " إنّي اطلعت على مكتوبكم بأنّ خبر موتي قد امتد إلى

---

[1] يحي بو عزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، دار العربية للكتب، تونس 1983، ط منفتحة ومزيدة، ص 153.

[2] محمد الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، ج1 سيرته السيفية عني به، دار البخاري ورابح القادري، مطبعة تجارية غرزوزي وجاوشي، الإسكندرية، 1903، ص 531.

[3] ديوان الشاعر الأمير عبد القادر، جمع تحقيق، شرح وتقديم دحو العربي، قصيدة الباذلون نفوسهم، الجزائر العاصمة، الثقافةن ع 2007، ص84.

الشرق فأعلم أنّ الموت لا مفر منه ولا محيد منه، إذا هو فضاء الله الذي لا يرد، وإنّي أحمد الله إذا لم تأتي باعتي بعد، ولم يزل عندي من القوة والاقتدار ما أومن به مهاجمة أعداء ديننا، فكن في راحة، ساكن البال، و متى استقر الأمر لنا نتوجد إليكم".

وأرسل الأمير عبد القادر مع وفد ابن سالم نص قصيدة "**الباذلون نفوسهم**"[1]، ونفهم من قوله أنّ خليفة الأمير بعث بالون ليعرف صدق إشاعة موت الأمير من كذبها وأنّ الأمير فند هذه الإشاعات وبحث بالنص السابق وبالقصيدة ليطمئن خليفته.

ب- نثر القصيدة[2]:

إنّ قصيدة الباذلون نفوسهم للأمير عبد القادر شقت طريقها إلى الخلود في ذاكرة قرائها جيلا بعد جيل، حيث نظمها الأمير يحضن "تارة" حين أثار الفرنسيون أنّ الأمير قد قتل ليرغ جيوشه في جبال جرجرة الواقعة شمال الجزائر و كما علم بذلك بعد القصيدة إلى جيوشه غير أية بتلك الإشاعات، حيث استهل الشاعر عبد القادر لأمته بدعوة الريح، ريح الجنوب، لنتوب...عنه في حمل تحياته وأشواقه ومشاعره العذبة المثقلة بالرجع والشكوى إلى أولئك الغربان في جبال الذين احتوى الشاعر بنار البعد وجفاه النوم بسببهم حيث يبيت سهران عسى أن يظفر بطيف منهم، فكل العذاب يهون إلا هجر الأحبة والأخوة وأية إخوة هؤلاء؟ إنّهم أرباب عهده وصفوة جنده، وسنده القوي، يمشي يستكمل قصيدته بأسئلة يطرحها في منتهى الرقة والشاعرية دون انتظار جواب، وبأبيات تتأرجح بين الرجاء والحرقة تارة وبين الحنين والشوق تارة أخرى، ثم ينتقل الشاعر في تعداد شمائل هاته النخبة التي تسامت في سلم الوطنية وبلغت الذروة التي تستحق المديح والفخر لأنّها الصفوة التي ضحت بالنفس والنفيس في سبيل هذا الوطن حيث وصفهم الصادقون والصابرين والشجعان في يوم الكريهة أي في وقت الحرب بحيث يتحملون نوائب السهر وشدائد الجهاد فهم حسب الأمير أنفس شجاعة كريمة تنزهت وازدهرت في الدنيا وزخارفها وهما الأكبر قراع الجحافل وخوض المعارك في سبيل الشهادة. ثم ينتقل الأمير عبد القادر مستفهما بكم لحشد صورة هؤلاء الفرسان لربط الماضي والحاضر المأمول، فهم مجتمعون على المنافسة والمحاربة والصابرة والمجاهدة وتشريد العدو وتبديد شمله.

---

[1] علي بن محمد بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، دار المعرفة بيروت، د ط، ص 233.

[2] المصدر السابق، ديوان الأمير عبد القادر، قصيدة الباذلون نفوسهم، ص 84.

- القصيدة:

يأيها الريح الجنوب تحمّلي *** مني تحية مغرم و تجمّلي

- واقري السلام أُهيْل ودي وانثري *** من طيب ما حُمّلتِ، ريح قرنف
- خلي خيام بني الكرام وخبّري *** إني أبيت بحرقة و تبلب
- جفنيَّ قد ألفا الهاد لبينكم *** فلذا غدا طيب المنام، بمعزل
- كم ليلة قد بتُّها متحسرا *** كمبيت أرمد في شقا وتململ
- سهران، ذو حزن تطاول ليله *** فمتى أرى ليلي بوصلي، ينجلي؟
- ماذا يضر أجنتي لو أرسلوا *** طيف المنام يزورني يتمثل
- كل الذي ألقاه في جنب الهوى *** سهل، سوى بين الحبيب الأفضل

✓ وفي مقطع أخر يقول:

- أدي الأمانة يا جنوب وغايتي *** في جمع شملي، يا نسيم الشمال
- كيف التصبر عنهم؟ وهمٌّ همٌّ *** أرباب عهدي بالعقود الكمَّل
- أفدي أناساً ليس يدعى غيرهم *** حاشى العصابة والطراز الأول[1]
- وأهدي إلى من بالرياض *** حديثهم أذى وأحلى من عبير قرنفل
- تهدي إلى طرائفها و طرائفها **** و لطائفتها بتعطر وتعسل

– حيث الملاحظ أنّ الشاعر استحضر في هذين المقطعين عناصر الطبيعة (الريح، الطيب، القرنفل، نسيم الجبال، عبير، عطر، عسل)، كل منها تحمل دلالة مستقلة تضفي طابع الشوق ومن ثم فلقد كانت " الطبيعة مازالت ملجأ الغرباء، الغارين من جحيم الدنيا و عذابها يستبد القلق و اليأس بالأنان و يشم بالغربة الروح والفكر فلا يجد مخرجا إلا في حالة التي يحققها له هذا الهروب لكن الطبيعة و هذا الحنين إلى روضا أو غاب ، أو يحر"[2] .

[1] انظر: ديوان حسان بن ثابت، تحقيق سيد حنفي حسين، مراجعة حسن كامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974، ص123.

[2] حفيظة بن مزغنة، الصورة الشعرية في شعر عز الدين ميهوبي (مذكرة ماجستير)، جامعة خيضر بسكرة، 2005/2004، ص 78.

– وفي المقطعين السابقين نلاحظ أنّ مظلم التشخيص تتجلى بوضوح بحيث تتحول عناصر الطبقة إلى أن يرسل و ينقل و يحمل رسائله الحنينية (تحملي، تجملي، أنثري، حلي، خبري، أدي، أهدي)، حيث أراد الشاعر تصوير الرّياح في صورة إنسان لنقل أشواقه إلى أحبابه في الضفة الأخرى.

– إذن فالتشخيص من هذا المتطور له وظيفة جمالية فيما نلقي الشعر من خلاله تحيا المفردات كما أنّ لعناصر الطبيعة تصبح بإرادة الإنسان جنوده له و ذلك حسب الرؤية النفسية للأثداء.

– ثم يمضي واصفا هؤلاء الأحبة غير أن يختص أحدا دون آخر بمناقب جامعة لخصائص الفروسية المثالية من كرم و جود و شهامة و إيثار، فإن كان غيرهم بالمال يضن فهم بالأرواح يجودون، يستر خصونها في سبيل أهدافهم ويضعونها على أنهم يبتغون بذلك فضلا من الله ورضوانا، فيرضى عنهم الرحمن ويسر من أفعالهم وهم يجابهون عدوهم صابرين مرابطين غير مولّى الأدبار[1]:

- إنّ غيرهم بالمال شح وما سخا *** جادوا ببذل النفس، دون تعلل
- الباذلون نفوسهم ونفيسهم *** في حب مالكنا العظيم الأجلل
- كم يضحك الرحمن من فعلاتهم *** يوم الكريهة نعم فعل الكمَّل

– فهؤلاء الصادقون الصابرون في يوم الكريهة، يتحملون نوائب الدهر وشدائد الجهاد، بأنفس شجاعة كريمة، تنزهت وزهدت في الدنيا وزخرفها، همها الأكبر قراع الجحافل، وخوض المعارك فهم الفرسان يومهم، زهاد ليلهم، تاركين ما دون ذلك لسواهم، يرون حلو الحياة، ولذتها في نيل وسام الشهادة فهو عندهم منتهى الأمل:

- الصادقون الصابرون لدى الوغى *** الحاملون، لكل ما لم يحمل
- إن غيرهم نال اللذائذ مسرفا *** هم يبتغون قراع كتب الجحفل

– وهكذا نرى صحب الأمير عاكفين دوما على الجهاد، يروون سيوفهم العطشى من دماء أعداء الله والوطن، ينزلون على عدوهم وينقضون عليه انقضاض الصقرا الجارح على فريسته، فلا يجد العدو من دونهم عاصما فلا الجبال والكهوف تمنع عنهم الضربات القاتلة، حتى صغار الجند –هؤلاء الأشبال –لا تعرف الشكوى إلى نفوسهم سبيلا يخوضون غمار الحرب ويصطلون بنارها كآبائهم . أو ليست هذه

[1] الديوان السابق حسان بن ثابت، ص127–128.

الأشبال من تلك الأسود؟ توارثوا الشجاعة والإقدام والصبر أبا عن جد فحافظوا على الإرث وهم على الدرب سائرون:

- وألذ شيء عندهم لحم العدا *** ودماؤهم كزلال عذب المنهل
- النازلون بكل ضنك ضيق *** رغما على الأعدا بغير تهول
- لا يعرف الشكوى صغير منهم *** أبدا ولا البلوى إذا ما يصطلي[1]
- ما منهم إلا شجاع قارع *** أو بارع في كل فعل مجمل[2]

ج – التكرار:

كما وضحنا في المدخل أنّ التكرار يكون في الحرف والفعل والإسم بأكثر من مرة وذلك لتؤكد أو لزيادة التنبيه أو التهويل....والتكرار حسب الباحث طه وادي ظاهرة أسلوبية داخل النص الشعري فلا يؤتي به عشا وإنّما يعمل على إضاءة عتمة من جانبين فالجانب الأول إظهار الوحدة العضوية بحيث تظهر الأبيات داخل النص متماسكة والجانب الآخر[3] فهو متصل بالقيمة الكمالية التي يحدثها التكرار من خلال الكشف عن المشاعر الذات وبهذا يمكننا الوقوف على ألوان التكرار في شعر الأمير عبد القادر الباذلون نفوسهم و كيف وظفه توظيفا جماليا يليق بشعره وهذا كله انعكاسا لحنينه و شوقه لأحبائه[4] وتأتي (كم) الخبرية لتنهض بحشد صور هؤلاء الفرسان فتربط بين الماضي التليد والحاضر المأمول، فهم المجتمعون على المنافسة والمسارعة والمحاربة والمضاربة، والمغالبة والمصابرة والمجاهدة والتجلد، والإدلاج والإزعاج، وإسراج الجياد، وتشريد العدو وتبديد شمله، وجمع كلمة المجاهدين على الحق والجهاد، في وطن واحد وملة واحدة، يصدر منها عمل موحد مفروضا فرضا مقدسا من لدن إله واحد، يجد فيه المؤمن الحقيقي الأمان والسكينة ويهب لافتدائه متى ناد منادى الجهاد إلى ذلك:

- كم نافسوا كم باعوا كم سابقوا *** من سابق لفضائل و تفضل
- كم حاربوا كم ضاربوا كم غالبوا *** أقوى العداة بكثرة و شمول
- كم صابروا كم كابروا كم غادروا *** أتمنى أعاديهم كعصف متوكل

---

[1] يصطلي: يستدفئ بالنار، وهنا كتابة عن خوض المعارك ونار الحرب.

[2] الديوان، ص 28.

[3] المصدر السابق، الصورة الشعرية في شعر عز الدين ميهوبي، مذكرة ماجستير، ص78.

[4] ين: ينظر: حسن غانم فضالة انماط المفارقة ي شعر أحمد مطر، مجلة كلية التربية الأساسية جامعة بابل، العدد– 10، كانون ثاني، 2013.

- كم جاهدوا كم طاردوا و تجلدوا *** للبنايات بصارم و عقول
- كم قاتلوا كم طاردوا كم حلوا *** من جيش بانتقام الجحفل
- كم أدملجوا كم أزعجوا كم أسرجوا *** يتسارع للموت لا يتململ
- كم شرحوا كم بعدوا و تعودوا *** تشييب كل عشبه بالصقيل

ففي المقطع السابق نلاحظ تكرار لافتا للانتباه وهو تكرار حرف "**كم**" وذلك أنّ نفس الشاعر دائما يتوقها حنينا و شوقا للقتال فهو بهذا يرفع معنويات جيشه و تحريك عواطفه، و الملاحظ كذلك في القصيدة أن الشاعر كرر لفظ الجلالة يا رب زهاء خمس مرات وذلك في قوله:

- يا رب إنّك في الجهاد أقمتهم *** فبكل خير عندكم هو فتفضل
- يا رب؟ يا رب البريات أزد *** هم صبرا و نصرا دائما بتكمل
- وافتح لهم مولاي افتحا بينا *** وأعفر و سامح يا إلهي عجل
- يا رب يا مولاي؟ عن هفواتهم *** وألطف بهم في كل أمر منزل
- يا رب؟ واشملهم بعفو دائم كان *** رضيا عنهم رضا المتفضل
- يا رب لا تترك وضيعا فيهم يا رب؟ *** واشملهم بخير تشمل

– فالشاعر كرر لفظة "**يا رب**" زهاء خمس مرات فلربما الشاعر يعتصر ألما بسبب بعده عنهم و لكن قلبه دائما معهم بالدعوات.

* ومن كانت هذه خصاله فمن غير شك أنّ نفسه تهفو دوما للقتال وتحن إلى سماع صليل السيوف وصهيل الخيل، وتستبشر باليوم الذي تدق فيه طبول المعركة – أن حي على الجهاد – فتعم الفرحة، ويتسابق الأبطال لجندلة الأعداء ومسح سيوفهم الملطخة دما في ثياب الصرعى من القوم، لترد إلى إغمادها بيضاء تلمع تسر الناظرين:[1]

- يوم الوغى يوم المسرة عندهم *** عند الصياح له مشوا بتهلل
- فدماؤهم وسيوفهم مسفوحة *** ممسوحة بثياب كل مجندل

*فالشهادة لديهم مبتغى الأمل، يحرصون عليها لينالوا شرف الدنيا والآخرة، وينعمون بفضل الله ورضوانه، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، يتسابقون إليها تسابق غيرهم لنيل عرض الدنيا وحطامها الزائل،

[1] الديوان، ص129–130.

يستبشرون لأخيهم الذي قضى نحبه تحت ظلال السيوف شهيدا، يود كل بطل منهم لو كان مكانه، فيحوز شرفا عاليا، وذكرا دائما، فالعار العار عندهم أن يلقى الإنسان ربه بعيدا عن ساحة الوغى فيموت حتف أنفه ميتة البعير، وإن كان حقه، بل حق الفروسية والبطولة أن يموت بين السيوف[1].

لا يحزنون لهالك بل عندهم *** موت الشهادة غبطة المتحول

ما الموت بالبيض الرقاق نقيصة *** والنقص عندهم بموت الهمّل

*ويكون مسك ختام هذه القصيدة دعوات ضارعة من الشاعر تذكرنا بدعوات جده المصطفى(ص) لأصحابه وجنده لحظة لقاء العدو، لتثبيتهم وزرع الطمأنينة في قلوبهم، ودعوة المولى لنصرهم وبث الرعب والهلع في صفوف أعدائهم، فتذهب ريحهم، ويلين عودهم، فلا يلبثون في ساح الوغى إلا عشية أو ضحاها، والملاحظ على دعوات الأمير أنها لا علاقة لها بهذه الدنيا، فهو يرجو ربه لجنده الصبر الجميل والنصر المبين، والفتح العظيم، والعفو الدائم، والرحمة الشاملة، وعدا من الله لعباده ومن أوفى من الله عهدا؟[2]

- يا رب إنّك في الجهاد أقمتهم *** فبكل خير عنهم فتفضل
- يا رب يا رب البرايا زدهم *** صبرا ونصرا دائما بتكمل
- وافتح لهم مولاي فتحا بينا *** واغفر وسامح يا إلهي عجّل
- يا رب مولاي وابقهم قذى *** في عين من هو كافر، بالمرسل
- وتجاوزن مولاي عن هفواتهم *** وألطف بهم في كل أمر منزل
- يا رب واشملهم بعفو دائم *** كن راضيا عنهم رضا المتفضل
- يا رب لاتترك وضيعا فيهم *** يا رب واشملهم بخير تشمل

3- مفارقة الثنائيات الضدية:

إنّ هذا النمط من التضاد يمكن الاصطلاح عليه بالتقابل الظاهر، وإنّ علاقات المتقابلين في هذا النمط علاقات اختيارية، بمعنى أنّها تجد نزوعا لدى المنشئ نحو اختيار ألفاظ متضادة بحكم الوضع

[1] الديوان، ص 130.

[2] الديوان، ص130- 131.

اللغوي[1]، وعند استقرائنا لقصيدة **الباذلون نفوسهم للأمير عبد القادر** تلمسنا نمط من الثنائيات وهو **التضاد**.

أ)- التضاد:

يمكن القول أنّ التضاد يعتمد الجمع بين كلمتين متضادتين في نحو تركيبي معين و يكون هذا التضاد استجابة لضغط المعجم المشترك على إمكانات التصرف الخاصة، الأمر الذي لا يفسر على أنّه عجز أو ضعف فني بقدر ما هو القدرة على الجمع بين التراكيب و الارتفاع بأدائها الدلالي[2]، أي أنّ التضاد أسلوب من أساليب التعبير وهذا التضاد يعود لعملية تداعي الألفاظ و المعاني و بهذا المفهوم سنحاول التعرف على مدى فاعلية هذا النمط من الثنائيات المتضادة و قدرتها على إنتاج المفارقة في **قصيدة الباذلون نفوسهم للأمير عبد القادر وذلك في قوله:**

- أدي الأمانة يا جنوب؟ وغايتي *** في جمع شملي يا نسيم الشما
- وأهدي إلى من بالرياض حديثهم *** أزكى وأحلى من عبير قرنفل
- تهدي إلى طرائفها و طرائفها *** ولطائفها بتعطر وتعسل
- حاولت نفسي الصبر عنهم قيل*** لي مه إذا محال وبك عنه تحول:
- كيف التصبر عنهم؟ وهم هم *** أرباب عهدي بالعقود الكمل؟
- تفديهم نفسي و تفدي أرضهم *** أزكى المنازل يا لها من منزل
- أيحل ريب الدهر ما عقودو؟ *** وكم حلت عقودي بالمنى المتخيل
- أفدى أنا ليس يدعي غيرهم *** حثا العصابة والطراز الأول
- يكفيهم شرفا و فخرا باقيا *** حمل اللواء الهاشمي الأطور
- قد خصهم واختصهم واختارهم *** رب الأنام لذا بغير تمعن
- هم بالمدرج أحق لكن ربما *** ضاعت حقوق بالعدا و الذل

- وكذلك في بيتين آخرين في قوله:

- إنّ غيرهم بالمال شح و ماسخا *** جادو يبذل النفس دون تعلل

[1] المصدر السابق، حسن غانم فضالة، ظر: طه وادي: حماليات القصيدة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجان، ط1، 2000م، ص 252.

[2] أنماط المفارقة، في الشعر أحمد مطرن ص 253.

- إنّ غيرهم نال اللائذ مسرفا *** هم يبتغون قراع كتب الجحفل

– نلاحظ أنّ التضاد شحن الأجواء في هذه الأبيات : (جنوب* الشمال ماعقدوا *حلت عقودي، شرفا*ذل، شح*مسرفا، ضاعت*جادوا، الحاملون*لم يحمل).

ب مفارقة الاستفهام:

ويقصد به ما يستثيره أسلوب الاستفهام من شعور مفارق للمرجع العام في الكلام الاعتباري[1]، و لقد أفاد الأمير عبد القادر في قصيدته **الباذلون نفوسهم** من هذه الخاصية الأسلوبية في الاستفهام و التي من شأنها المساهمة في إعطاء الخطاب الشعري سمته المفارق ومن ذلك قوله:

- سهران ذو حزن تطاول ليله *** فمتى أرى ليلي بوصلي ينجلي؟
- ماذا يضر أحبتي لو أرسلوا *** طيف المنام يزورني بتمثل؟

وفي بيت أخر يقول:

- كيف التصبر عنهم؟ *** وهم هم أرباب عهدي بالعقود الكمل

– إنّ هذا التراكم من الاستفهام في الأبيات السابقة يحمل المتلقي على المشاركة في الإجابة.

ج)– الرمز:

لقد ارتبط الحديث في الصورة الشعرية في أغلب الدراسات الحديثة بالرمز الشعري لأنّ له فعالية في تشكيل الصورة الشعرية وجماليتها كما له طاقة إيجابية دلالية يمكن للشاعر أن يستغله عندما تعجز العناصر اللغوية المألوفة أي اللغة العادية عن التعبير كما يختلج في النفس" فالرمز أفضل طريقة للإضفاء بما لا يمكن التعبير عنه، وهو معين لا ينصب للإيحاء" ، وهناك من الباحثين صنف الرمز إلى صنفين حيث جعل الأول حكاية رمزية وذلك بتوظيف رموز تاريخية أي الشخصيات تاريخية أمّا الثاني فيخص الرموز الفنية فهي رموز كونية (عماد و البحر و الليل، والشجر....)[2]، وبناء على هذا التصور أدرك الشاعر الأمير عبد القادر في قصيدته **الباذلون نفوسهم** بنوعية أي (الرموز الفنية وحكاية الرمزية)، وبدءا بالرموز الفنية و في قوله ذلك:

[1] المصدر السابق، أنماط المفارقة، في الشعر أحمد مطر، ص 253.

[2] المصدر السابق، الصورة الشعرية عند عز الدين ميهوبي، ص98.

- يأيّها الريح الجنوب أتحملي *** مني تحية مغرم و تحملي
- وأقر السلام أميل ودي وانشري *** من طبيب ما حملت ريح قرنفل
- خلي خيام بني الكرام و خبري*** أنّي أبيت بحرقة و تبلل.

– وفي المقطع الثاني في قوله:

- أدي الأمانة يا جنوب وغايتي*** في جمع شملي يا نسيم الشمال
- وأهدي إلى من الرياض حديثهم *** أزكى وأحلى من عبير القرنفل

لقد وظف الشاعر في هذين المقطعين العلامات اللغوية و القرائن الدالة على طبيعة المخاطب و نذكر منها (يأيها الريح، أقر السلام، أنثري، تحملي مني تحية مغرم، خلي خيام، أدي الأمانة، أهدي إلى من بالرياض...)، وهذه القرائن تحيل مباشرة إلى أنّ المخاطب إنسان أي ترمز إلى إنسان أمّا الرمز الحكائي فيتجلى في قوله:

- يكفيهم شرفا و فخرا باقيا *** حمل اللواء الهاشمي الأول.

– وفي هذا البيت وظف الشاعر رمزا تاريخيا وهو أول من حمل اللواء الهاشمي وهو يشير لأول لواء عقده الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لحمزة بن عبد المطلب:
– فالشاعر هنا يعتزوا بفخر بتباعه و أصوله الهاشمية.

د)– التجسيد:

لكل المسحوبات جسم عاقلة كانت أم غير عاقلة فالعرض ليس حسبا و تجسمه يأتي على سبيل الاستعارة و مصطلح التجسيد يسعى إلى جعل المعنوي حبيبا، فالجسم عالم لكل المحسات، و الجسد خاص بالإناث فكأنما بالتجسيد نحول المعنوي المجرد إلى محسوس وقد تضمن شعر الأمير عبد القادر في قصيدة الباذلون نفوسهم صورا معنوية مجسدة[1]، ومن ذلك قوله :

- يأيّها الريح الجنوب أتحملي*** مني التحية مغرم وتجملي

وأقر السلام أهيلي ودي وانشري *** من طبيب ما حملتي ريح القرنفل

[1] عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر أبيات، ديوان، المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص 34.

- خلي خيام بني كلام و خبري *** أنّي أبيت بحرقة وتبلل
- جفني قد ألفا السهاد لبينكم *** فلذا غدا طبيب المنام بمعز
- ثم ليلة قد بتها متحسرا *** كمبيت أرمد في شقا وتملل
- سهران ذو حزن تطاول ليله *** فمتى أرى ليلي بوصلي ينجلي؟
- ما يضر أجينتي لو أرسلوا *** طيف المنام يزورني يتمثل؟
- كل الذي ألغاه في جنب الهوى *** سهل سوى بين الحبيب الأفضل

– نجد هذه الأبيات مفعمة بالتجسيد:

[1]**سهران ذو حزن تطاول ليله:** وهنا جسد صورة تطاول اللّيل وهو معنوي لإلى شيء مجرد بلقطة حزن.

لو أرسلوا طيف المنام: وهنا الاستعارة مكنية حيث يشبه الطيف بالشيء الذي يرسل وحذف مشبه وهو الإنسان و ترك لازمة من لوازمه و هي الفعل "أرسل".

"**كل الذي ألغاه في جنب الهوى**" **جسد الهوى:** و جعله في صورة الإنسان، وهي الاستعارة مكنية حيث حذف المشبه به و شبه الهوى بالشيء الذي له جنب إذن فالتجسيد فضلا عن كونه عنصرا تزيين الصورة فإنه وسيلة لتوضيح المعنى، وذلك بتجسيد المعنى.

وخلاصة هذا البحث أن الحنين في الشعر العربي عامة والشعر الجزائري خاصة ما هو إلا تعبير عما يدور في ذهن الشاعر وما يختلج في قلبه من أحاسيس مرهفة جياشة تحمل بين طياتها معاناة الشاعر وشوقه له, وهذا النوع من الشعر ظهر نتيجة عوامل منها نفي الشعراء خارج بلدانهم الأصلية وإما الهجرة للتكسب وهذا مثل ما حدث مع جماعة المهجر...

1

الخاتمة

الخاتمة:

المنفى فن شعري أصيل يرتبط بالحياة، فهو من الفنون التي تعني بتصوير جوانب من الحياة، ويكشف عن الكثير من الحقائق، وهو مجال صادق لمرحلة تحمل في طياتها أحداث سياسية مؤثرة على النفس وما يؤج فيها من عواطف جياشة، وكما كان لكل بحث نهاية، فلابد أن ننهي بحثي بأهم ما توصلنا إليه من نتائج أكثر دراسة لشعر المنفى وتأثيره على حياة الشاعر.

1- شعر المنفى هو شعر نظم خارج الأوطان يبين عندما بداخل النفس من ألم وحصرة على فراق الأهل والأحبة والوطن.

2- هناك اتفاق في المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي لمفهوم المنفى الذي يحمل مفهوم الأبعاد عن المكان الذي ولد وترعرع فيه.

3- شعر المنفى يتميز بظواهر فنية تميزه عن غيره من شعر تجعله يكتسب مكانته في الوسط الفني الأدبي.

4- لشعر المنفى جذور مشرقة قديمة، مستمدة من العصر الجاهلي وصولا إلى العصر الحديث.

5- صدر موضوع النفي عن عاطفة صادقة والإحساس المرهف، ونفوس معذبة تجرعت مرارة النفي.

الخاتمة:

لمصطلح الاغتراب استخدامات متعددة في التراث اللغوي والفكري والسوسيولوجي، ورغم تعدد هذه الاستخدامات إلا أنّ ثمة علاقة قائمة تربط فيما بين مفهوم الاغتراب الذي يضرب بجذوره في أعماق التراث السوسيولوجي، والاستخدامات الحديثة الشائعة لمفهوم الاغتراب، ويدلل على صحة هذا بافتراضات المنظرين للارتباطات المحتملة لمفهوم الاغتراب بالتبلد، والتسلطية، والمجاراة، والتعصب، و الانسحابية، و العصاب، و النكوصي، والانتحار، والهاشمية...إلخ.

وبهذا فإنّ مصطلح الاغتراب بدلالات مختلفة ظهر كثير منها بصورة تفتقر إلى التمييز بشدة، إلى حد أنّه ليس من الواضح من هو ذلك الذي يفترض أنّه مغترب، فهو من وجهة نظر دينية يظهر في أنّ " الأديان الثلاثة الكبرى الإسلام و المسيحية واليهودية تلتقي على مفهوم أساسي واحد للاغتراب بمعنى الانفصال، انفصال الإنسان عن الله وانفصال الإنسان عن الطبيعة وبهذا فإنّ الاغتراب ظاهرة حتمية في الوجود الإنساني وحياة الإنسان على الأرض ما هي إلا غربة عن وطنه الأسمى، وطنه السماوي. وبهذا فظاهرة الاغتراب ظاهرة نفسية اجتماعية عامة، تزايد الاهتمام بها في السنوات الأخيرة نظرا لأعراضها التي بانت تهدد الإنسان في مختلف مجالات الحياة، ووجدنا الاغتراب في اللغة يعني الذهاب والتنحي، أمّا في الاصطلاح فالمعنى حسب كل مجال من المجالات، وبهذا نستنتج أنّ الاغتراب حالة عامة من الاضطراب واليأس والإحساس بالعجز والانفصال عن الذات وعن الآخرين

الخاتمة:

يتوجب على كل الجهود في مختلف المجالات التنمية والرعاية والتأهيل، بل في كل مجال يتواجد فيه الإنسان يجب أن يعمل على القضاء على العوامل المسببة للاغتراب، إذ فلابد من توفير جو من الألفة بين المتعاملين في المؤسسة الواحدة سواء الاستثمارية أو الخدماتية وعلى القائمين على تسيير شؤون الآخرين أن يراعوا أساليب القيادة الأنجح ي مواجهة الاغتراب، كما قمنا بالكشف عن الحالة النفسية للبطل والشخصية العظيمة بطل الجزائر الأمير عبد القادر إضافة إلى التماسنا إلى أنواع الاغتراب ومدى شوقه للخليفة.

وبهذا اخترنا شخصية الأمير عبد القادر وهو شخصية عظيمة وبطل الجزائر الذي انفرد بميزة جوهرية متمثلة في تأسيس دولة حديثة، فقد أعطى لهذه الدولة صبغة دولية للتعريف بالقضية الجزائرية وإيجاد حل لها، وهذا من خلال سعيه إلى إقامة علاقات خارجية والتي لم تنقطع عندما انتهت مقاومته. وبهذا ذهبنا في محاولة التعرف على شخصية الأمير عبد القادر من خلال نفيه وهنا جاء اختيارنا لقصيدة من قصائده المتمثلة في "الباذلون نفوسهم" التي تعبر عن مدى اغترابه ونفيه واشتياقه للخليفة مبرزا مدى غربته وشوقه . ولكن رغم كل المحاولات الاستعمارية لتشويه سيرة الأمير عبد القادر فقد تناولنا العديد من الباحثين حياته بكل تفاصيلها وألقوا الضوء على مفاصلها، بل وكثرت الندوات والمؤتمرات والرسائل التي جعلت من دراسة حياة الأمير بكل جوانبها المحور الأساسي لها.

الخاتمة:

وفي الأخير نستنتج أن الاغتراب ظاهرة نفسية اجتماعية وهدا مقادنا إلى اختيار شخصية الأمير عبد القادر الذي يعبر عن شوقه ونفيه واغترابه في قصيدة الباذلون نفوسهم ومن هنا نرجو أن يكون بحثنا هذا قد أفلح ونرجو من الله أن يوفقنا في هذا البحث.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

❖ المؤلفات

- إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، الميسر لنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2011.
- إسماعيل العربي، المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، الجزائر.
- أشرف على الدعدور، الغربة في الشعر الأندلسي.
- الأستاذ عبد الرزاق بن السبع،الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود اليابطين للإبداع الشعري، أغسطس 2000، ص90.
- الحضي عبد المنعم، معجم المصطلحات الصوفية، دار المسيرة، ط2، بيروت، 1987.
- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائر " المجاهد الصوفي "، الجزائر.
- برونو إيتيين، عبد القادر الجزائري، تر: مشيل خوري، ط1، دار عطية، لبنان، 1997.
- جمال الدّين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب تونس، تط، 2002، ص37.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي (بألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية)، ج1، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، د ط، بيروت، لبنان، 1982.
- حسن حماد، الإنسان المغترب عند أريك فروم، دار الكلمة، د ط، القاهرة، مصر، 2005.
- حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، 2011.
- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز، دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2006.
- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، ج3، ط2.
- ديوان الشاعر الأمير عبد القادر، جمع تحقيق، شرح وتقديم دحو العربي، قصيدة الباذلون نفوسهم، الجزائر العاصمة، الثقافةن ع 2007.

قائمة المصادر و المراجع:

- ديوان تأبط شرا وأخباره، تح، علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، 1984، ص115.
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق سيد حنفي حسين، مراجعة حسن كامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974، ص123.
- رابح لونيسي وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2010.
- رافد سالم سرحان شهاب، أثر الغربة والاغتراب في شعر الجواهري.
- ريتشارد شاخت، مستقبل الاغتراب مع دراسة بعنوان المشروع الفلسفي عند ريتشارد شاخت، تر: وهبة طلعت أبو العلا، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 2001.
- سمية بن عمارة، د. منصور زاهي، الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الانترنت، دراسات نفسية تربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، ع10، جوان 2013.
- سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص 98.
- سناء خضر، النظرية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدّين، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 1999.
- سهير عبد السلام، مفهوم الاغتراب عند هاربرت ماركيوز، دار المعرفة الجامعية، د ط، مصر، الأزايطية، 2003.
- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس.
- صلاح الدين محمد عبد التواب، مدارس الشعر العربي في عصر الحديث، دار كتاب الحديث، القاهرة، ط1.
- عاطف محمد كنعان، الغربة والاغتراب في شعر الإمام الشافعي.
- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب.

قائمة المصادر و المراجع:

- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، ط1، القاهرة، 2003.
- عزيز السيد جاسم، الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد، العراق، 1998.
- عمار هلال، الموسوعة الثقافية للشباب، الطرق الصوفية، ونشر الإسلام والثقافة، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 1998.
- عميش العربي، محمود درويش خيمة الشعر، المكتبة الوطنية، الجزائر،ط1، 2014.
- فاطمة جمشيدي، ملامح الاغتراب في شعر "على فودة" وردود فعله عليه، إضاءات نقدية، السنة السابعة، ع27، 2017.
- فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، ط1، 1993.
- فرانسوا مسبيرو، سانت أرنو أو الشرف الضائع، تر: أحمد بكلي، مراجعة، مسعود الحاج مسعود، طبعة خاصة، دار القصبة، الجزائر، 2005
- فيصل عباس، اغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، ط1، لبنا، 2008.
- فيصل عباس، الاغتراب–الإنسان المعاصر وشقاء الوعي–، دار المنهل، بيروت، ط1، 2008.
- كاميليا عبد الفتاح، بواعث الاغتراب وجموع التكوين، دار المطبوعات الجامعية، إسكندرية، ط2.
- محمد الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، ج1 سيرته السيفية عني به، دار البخاري ورابح القادري، مطبعة تجارية غرزوزي وجاوشي، الإسكندرية، 1903.
- محمد الشحّات، سرديات المنفى، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006.

قائمة المصادر و المراجع:

- محمد خير الدين، مذكرات الشيخ خير الدين محمد، ج1، الجزائر.
- محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي ، منشورات كتاب إتحاد الأدباء العرب، دمشق،د ط، 1999.
- محمود سامي البارودي باشا، ديوان البارودي، ت، على الجارم وأخر، دار الكتاب المصرية، القاهرة، سنة 1942، ج2.
- مسعودة بن علية، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالاغتراب النفسي لدى المراهق الجزائري، ص28.
- ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مكتبة إسكندرية، مصر، 2000.
- يحي بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ط1، دار الطليعة، الجزائر، 1965.
- يحي شامي، شوقيات، دار فكر العربي، بيروتن سنة 1996، جزء أول، ص193.
- يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.
- يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007.
- يحيى عبد الله، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2005.
- يوسف أبوزيد، الأدب العربي الحديث (الشعر)، الميسر للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2014.

قائمة المصادر و المراجع:

❖ **الرسائل الجامعية :**

- انيال علي عباس الاغتراب النفسي وعلاقته بالتحصيل الدراسي، رسالة الماجستير في علم النفس التربوي جامعة دمشق، 2015-2016.
- منصور بن زاهي، الشعور بالاغتراب الوظيفي وعلاقته بالدافعية للإنجاز لدى الإطارات الوسطى لقطاع المحروقات، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم النفس العمل، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2006- 2007.
- مسعودة بن علية، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالاغتراب النفسي لدى المراهق الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015.
- حفيظة بن مزغنة، الصورة الشعرية في شعر عز الدين ميهوبي (مذكرة ماجستير)، جامعة خيضر بسكرة، 2005/2004.

❖ **المجلات و المنشورات:**

- جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص349.
- نادية طرشون، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي، طبقة خاصة، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2007
- معتز قصي ياسين، الاغتراب في شعر أحمد مطر، مجلة تشرين، للدّراسات والبحوث العلمية، السنة السابعة، العدد14، 2012، ص49.
- محمود، الغربة في شعر حسن أبو بكر الغزازي، مجلة تشرين للدّراسات والبحوث العلمية، ع1، م14، 1992.
- عبد الصمد بلكبير، مجلة عيون المقالات، المغرب، عدد13، ص62.
- عادل كامل، الاغتراب في الفن التشكيلي المعاصر، مجلة الثقافة، السنة العاشرة، ع 4 و 5 نسيان،1987 ،القسم الأول

- صبا نور الدين، الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريان ع322، 2000.
- رافد سالم سرحان شهاب، أثر القرية والاغتراب في شعر الجواهري، مجلة التقني، المجلد 26، ع6، 2013.
- حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، المجلد ع1+2، م27، 2011.
- جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي السوف، ع8، جوان 2012.
- بيير مانبيه، مدينة الإنسان، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، د ط، دمشق، 2000.
- بشرى عنّاد مبارك، الاغتراب الاجتماعي وعلاقته بالحاجة إلى الحب لدى شرائح اجتماعية مختلفة من العراقيين المقيمين في بعض الدول العربية، مجلة كلية الآداب، ع85.

❖ **<u>الموقع الإلكتروني</u>:**

- عاطف محمّد كنعان، الغربة والاغتراب في شعر الإمام الشافعي، جامعة البتراء، كلية الآداب والعلوم، عمان، الأردن، العنوان الالكتروني afkanaan.

❖ **المؤلفات باللغة الفرنسية**

- Boualem Bessail, L’Emir Abdel Kader à L’imam Chamul, 2008.

فهرس العناوين

الفهـــــرس:

فهرس المحتويات	الصفحة
الإهداء.....	
الشكر والتقدير.....	
مقدمة عامة.....	أ
الفصل الأول: سيرة الأمير عبد القادر	
المبحث الأول **مولد الأمير ونشأته**	03
1- مولده	03
2- نشأته	05
3- بيئته وأسرته	05
4- مؤلفاته	07
5- أسلوب الأمير في كتابة مؤلفاته	09
6- وصف ملامحه	09
7- مصادر تعلمه الدّيني	11
8- قراءاته وأثرها في فكره	13
9- خصاله	13
10- مبايعته	14
11- مرضه ووفاته	17
الفصل الثاني: المنفى والاغتراب	
المبحث الأول: تعريف المنفى وأنواعه	23

الفهـــــرس:

1- المنفى لغة واصطلاحا	23
2- ظهور شعر المنفى	24
3- أنواع المنفى	27
4- الظواهر الفنية في شعر المنفى	29
5- المنفى في الشعر العربي القديم	32
المبحث الثاني: الاغتراب وأنواعه	33
1- الاغتراب لغة واصطلاحا، الاغتراب والغربة.	34
2- أنواع الاغتراب	44
الفصل الثالث: نموذج تطبيقي لقصيدة الباذلون نفوسهم للأمير عبد القادر	52
الخاتمة	67
قائمة المصادر و المراجع	72
الفهرس	79
الملخص	

الملخص:

نستخلص أنّ شعر المنفى نمط من أنماط الشعر العربي قديما وحديثا، وهو ينبع من معاناة النفس البشرية التي يقتلها ألم الفراق للأهل والأحبة والوطن الأم، وكذلك هو شعر يترجم الإحساس بالكلمات الصادقة تنبض شوقا وأسى وحزنا.

فيعد الاغتراب أحد الموضوعات التي باتت تفرض نفسها، تستحوذ على اهتمام الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء الإجتماع والأدباء، وقد عكست هذه الأعمال مدى إلحاح فكرة الاغتراب على العلاقات بين الإنسان وغيره من أفراد المجتمع والحقيقة أنّ ظاهرة الاغتراب ظاهرة مرضية ميزت هذا العصر مع اختلاف المجتمعات، فالتحدي والفشل والإدمان والمخدرات والإغتصاب...إلخ ماهي إلا مؤشرات لما يعانيه البعض من إحساس بالاغتراب.

لقد عرف الأمير عبد القادر الجزائري بأنّه رجل البطولة، نظرا لتحمله أعباء الدولة والجهاد في سن مبكرة، وتمكن في فترة وجيزة من تاسيس دولة لها نظامها الإداري والعسكري، وهو رجل يعرف باغترابه ونفيه لذلك اخترناه واخترنا قصيدته الباذلون نفوسهم وقمنا بتحليلها وطبقناها على موضوع بحثنا هذا.